

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه

تأليف

الإمام عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ رحمه الله تعالى

تحقيق

الشيخ محمد زاهد الكوثري

مراجعة

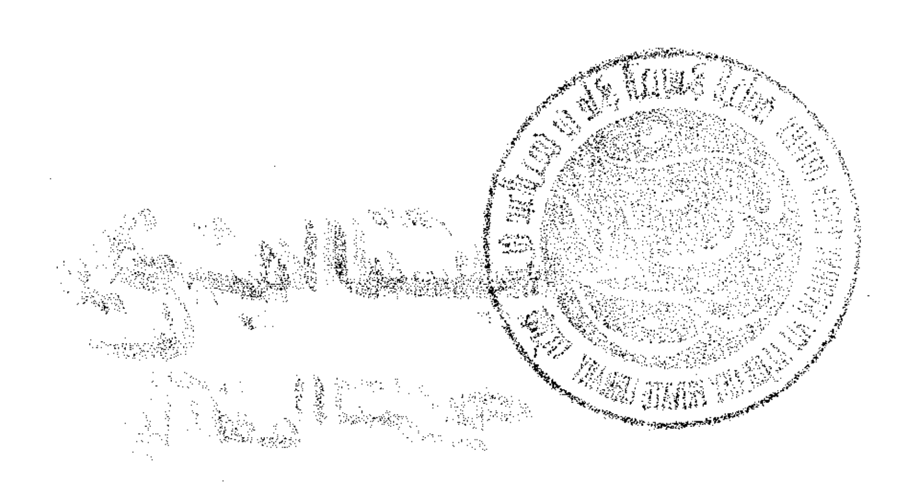
الدكتور أحمد حجازي السقا

الناشر

مكتبة الكليات الازهرية

حسين محمد امبابي وأولاده

٩ ش الصنادقية بالازهر ـ ت : ٩٣١٢٩٦



بسم الله الرحمن الرحيم

طبعة الكليات الأزهرية
الحاج حسين محمد امبابى
وأولاده
١٤١٢ – ١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « ولله المشرق والمغرب . فأينما تولوا ، فثم وجه الله . ان الله واسع عليم » .

وقال الله تعالى : « وهو الله فى السموات وفى الأرض ، يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » .

وقال الله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

وضح لنا ربنا رب العالمين تبارك وتعالى أنه لا يحده مكان ، ولا يشابه شيئا مما خلق ومما لم يخلق « تبارك الله رب العالمين » .

ولكن بعض المسلمين قال : بأن الله جســـم لا كالأجسام . وهم الكرامية . وبعض قال : بالجسمية ولم يصرح للعوام . وهم الحنابلة ، الملقبون بالسلف .

وفى هذا الكتاب يرد المؤلف على الحنابلة المجسمين لله تعالى ويقول لهم : لو كان الله جسما ، لكان حادثا . ولو كان جسما ، لكان مركبا من أعضاء ، ولو كان مركبا من أعضاء ، لكان غيره هو الذى خلقه . ثم يورد شبههم ويرد عليها .

وقد حقق هذا الكتاب الأسـتاذ الشـيخ محمد زاهـد الكوثرى رحمة الله تعالى عليه ــ ومؤلفه هو :

الامام الجليل عبد الرحمن بن الجوزى المولود سنة عشر وخمسمائة فى « البصرة » ومن مؤلفاته :

زاد المسير فى علم التفسير .

المغنى فى علم القـرآن .

الموضوعات فى الحديث

مشكل الصحاح .

الضعفاء فى الحديث •

بستان الواعظين •

صـيد الخاطـر •

ذم الهـوى •

لفتة الكبد الى نصيحة الولد •

رءوس القوارير •

صـفة الصفوة •

تلبيس ابليس •

المنتظم فى التاريخ •

الحسن البصرى •

مناقب عمر بن عبد العزيز •

الأذكيـاء •

الوفا فى فضائل المصطفى •

دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه في الرد على المجسمة •

تقـويم اللسان •

سلوة الأحزان •

وتوفى رحمة الله تعالى عليه فى السابع من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة •

والله أسأل أن ينفع به • آمين •

د/ أحمد حجازى السقا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

قال الشيخ الامام الحافظ العلامة أبو الفـــرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى الصديقى البكرى :

اعلم وفقك الله تعالى أننى لما تتبعت مذهب الامام أحمد رحمه الله تعالى ــ رأيت الرجل كبير القدر فى العلوم ، وقد بالغ فى النظر فى علوم الفقه ومذاهب القدماء ، حتى لا تأتى مسألة الا وله فيها نص أو تنبيه ، لكنه على طريق السلف لم يصنف الا المنقول .

فرأيت مذهبه خاليا من التصانيف التى كثر جنسها عند الخصوم ، فصنفت تفاسير مطولة منها :

المغنى ــ مجلدات .

وزاد المسير .

وتذكرة الأريب .

وغير ذلك .

وفى الحديث كتبا منها :

جامع المسانيد .

والحـــدائق .

ونقى النقــل .

وكتبا كثيرة فى الجرح والتعديل .

وما رأيت لهم تعليقة فى الخـــلاف ، الا أن القاضى أبا يعلى قال : « كنت أقول ما لأهل المذاهب يذكرون الخلاف مع خصومهم ، ولا يذكرون

أحمد[1] ثم عذرتهم ، اذ ليس لنا تعليقة فى الفقه » قال « فصنفت لهم تعليقة » .

قلت : وتعليقته لم يحقق فيها بيـان الصحة والطعن فى الردود . وذكر فيها أقيسة طردية .

ورأيت من يلقى الدرس من أصحابنا ، يفزع الى تعليقة الاصطلام أو تعليقة أسعد أو تعليقة العاملى أو تعليقة الشريف ويستعير منها استعارات

---

(١) كان الامام أحمد رضى الله عنه لزم الامام أبا يوسف فى بدء أمره كما حكى ذلك عنه يحيى بن معين حيث يقول فى كتابه « معـرفة التاريخ والعلل » رواية أبو العباس الأصم عن أبى الفضل العباس بن محمد الدورى عنه : « سمعت أحمد بن حنبل يقول : اختلفت الى أبى يوسف ثم اختلفت الى الناس بعده ا.هـ . وكان يشتغل بكتب محمد بن الحسن ويستفيد منها أجوبة دقيقة ـ على ما رواه الخطيب باسناده الى الحربى عنه ـ وصحب كثيرا من فقهاء العراق وجالس الشافعى فى قدمته الثانية ببغداد ، بعد وفاة محمد فصار له من الفقه حظ وافر .

ومع هذا كله كان الغالب عليه وعلى أصحابه رواية الحديث ، ولم يكن يجرى على طريقة الفقهاء فى التفـريع والتأصيل وتبيين منـاط الأحكام والتعليل ، حتى قلت : انفراداته فى الفروع عمن تقدمه من الفقهاء ، فان خالف الشافعى مثلا فى شىء من قوله الجديد تراه يوافق فيـه أبا حنيفة أو أحد أصحابه أو مالكا ـ رضى الله عنهم ـ فكان يستغنى أصـحاب كتب الخلاف عن ذكر أقوال أحمد ، بذكر خلاف من تقدمه من الفقهاء . ولم يدع تدوين أقواله مع أقوال بقية الفقهاء فى كتب الخلاف ، الا فى عهد ابن هبيرة الوزير ، فانه لما ألف « افصاحه » وخص من بين مجلداته مجلدا باختلاف الأئمة الأربعة واعتنى به عناية تامة وسعى فى نشره بصرف مبالغ طائلة ، أخذ من يكتب فى الخلاف يذكر أقوال أحمد مع أقوال غيره من الأئمة .

وكان ابن جرير أدركه سنا وأدرك أصحابه لقاء ، ومع ذلك لم يذكر أقواله فيما كتبه فى اختلاف الفقهاء ، مع ذكره من هو على شاكلة أبى بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم ، فسأله الحنابلة عن ذلك فقال ما معناه : لم يكن أحمد من الفقهاء ، انما كان من أهل الحديث وما كنت لقيته حتى آخذ منه ، ولا لقيت أصحابا له يحق أن يؤخذ منهم . فثارت ثائرة الحنابلة عليه ، وجرى ما ينقله « ياقـوت » فى « معجم الأدباء » و « ابن الأثير » فى « كامله » (ز) .

فصنفت لهم تعاليق : منها كتاب « الانصاف فى مسائل الخلاف » ومنها « جنة النظر وجنة الفطر » ومنها « عمدة الدلائل فى مشهور المسائل » .

ثم رأيت جمع أحاديث التعليق التى يحتج بها أهل المذهب وبينت تصحيح الصحيح وطعن المطعون فيه ، وعملت كتابا فى المذهب ، أدخلتها فيه وسميته « البـازى الأشهب المنقض على مخالفى المذهب » وصنفت فى الفروع كتاب « المذهب فى المذهب » وكتاب « مسـبوك الذهب » وكتاب « البلغة » وفى أصول الدين كتاب « منهاج الوصـول الى علم الأصول » وقد بلغت مصنفاتى مائتى مصنف وخمسين مصنفا .

ورأيت من أصحابنا من تكلم فى الأصول بما لا يصلح .

وانتدب للتصنيف ثلاثة : أبو عبد الله بن حامد[٢] وصاحبه القاضى أبو يعلى[٣] وابن الزاغونى[٤] فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب ، ورأيتهم

---

(٢) هو شيخ الحنابلة أبو عبد الله الحسن بن حامد بن على البغدادى الوراق المتوفى سـنة ثلاث وأربعمائة ، كان من أكبر مصنفيهم ؛ له شرح أصول الدين ، فيه طامات سيورد المصنف بعضها ولديه تخرج القـاضى أبو يعلى الحنبلى (ز) .

(٣) هو القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء الحنبلى المتوفى سنة ثمان وخمسـين وأربعمائة ، وفيه يقول أبو محمـد التميمى ما معناه : لقد شان أبو يعلى الحنابلة شينا لا يغسله ماء البحر ، على ما نقله ابن الاثير وأبو الفداء . وعزا فى طبقاته الى الامام أحمـد ما يبعد أن يصح عنه كل البعد . ونقل ابن بدران الدشتى فى جزء اثبات الحد عن كتـاب الأصول لابى يعلى هذا ما هو أفظع مما سينقله المصنف عنه فى التشبيه على تضارب فى أقواله بين تنزيه وتشبيه . ولا يخفى على الناظر أنه غير الحافظ أبى يعلى أحمد بن على الموصلى صاحب المسند وراوى كتب أبى يوسف عن بشر بن الوليد (ز) .

(٤) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن نصر الزاغونى الحنبلى المتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة وهـو من مشايخ المصنف وله فى كتاب الايضاح من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه (ز) .

قد نزلوا الى مرتبة العوام ، فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته ، فأثبتوا له صورة ٠

ووجها زائدا على الذات ، وعينين وفما ولهوات وأضراسا ، وأضواء لوجهه هى السبحات ويدين وأصابع وكفا وخنصرا وابهاما وصدرا وفخذا وساقين ورجلين ، وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس ، وقالوا يجوز أن يمس ويمس ويدنى العبد من ذاته ٠ وقال بعضهم : ويتنفس ، ثم انهم يرضون العوام بقولهم : لا كما يعقل ٠

وقد أخذوا بالظاهر فى الأسماء والصفات ، فسموها بالصفات ، تسمية مبتدعة ، لا دليل لهم فى ذلك من النقل ولا من العقل ، ولم يلتفتوا الى النصوص الصارفة عن الظواهر الى المعانى الواجبة لله تعالى ، ولا الى الغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث ٠

ولم يقنعوا بأن يقولوا : « صفة فعل » حتى قالوا « صفة ذات » ثم لما أثبتوا أنها صفات ، قالوا : لا نحملها على توجيه اللغة مثل « يد » على معنى نعمة وقدرة ، ولا « مجيىء واتيان » على معنى بر ولطف ولا « ساق » على شدة ٠

بل قالوا : نحملها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر : هو المعهود من نعوت الآدميين ٠ والشيء انما يحمل على حقيقته اذا أمكن ٠ فان صرف صارف حمل على المجاز ، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من اضافته اليهم ، ويقولون : نحن أهل السنة ٠

وكلامهم صريح فى التشبيه ، وقد تبعهم خلق من العوام ٠ وقد نصحت التابع والمتبوع ، فقلت لهم : يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع ، وامامكم الأكبر أحمد بن حنبل — رحمه الله تعالى — يقول وهو تحت

السياط : كيف أقول ما لم يقل(٥) ؟ فاياكم أن تبتدعوا فى مذهبه ما ليس منـــه •

ثم قلتم فى الأحاديث : تحمل على ظاهرها ، وظاهر القدم الجارحة ، فانه لما قيل فى عيسى عليه الصلاة والسلام : (روح الله) اعتقدت النصارى — لعنهم الله تعالى — أن لله سبحانه وتعالى صفة : هى روح ولجت فى مريم • ومن قال : استوى بذاته المقدسة ، فقد أجراه — سبحانه وتعالى — مجرى الحسيات ، وينبغى أن لا يهمل ما يثبت به الأصل • وهو العقل ، فانا به عرفنا الله تعالى ، وحكمنا له بالقدم ، فلو أنكم قلتم : نقرأ الأحاديث ونسكت ، لما أنكر أحد عليكم ، وانما حملكم اياها على الظاهر : قبيح(٦) •

---

(٥) ولما سئل الامام احمد عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها قال : (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى) ، وقال أيضا يوم سألوه عن الاستواء : (استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف) على ما ذكره الخلال فى السنة بسنده الى حنبل عن عمه الامام أحمد . وهذا تفويض وتنزيه كما هو مذهب السلف ، وربما أول فى بعض المواضع كما حكى حنبل أيضا عن الامام أحمد انه سمعه يقول : احتجوا على يوم المناظرة فقالوا : تجىء يوم القيامة سورة البقرة وتجىء سورة تبارك قال فقلت لهم : انما هو الثواب قال الله جل ذكره (وجاء ربك والملك صفا صفا) وانما تأتى قدرته . وقال ابن حزم الظاهرى فى (فصله) وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله قال : « وجاء ربك » انما معناه : وجاء أمر ربك ا.هـ . وهذا وتأويل وتنزيه كما هو مذهب الخلف ، وأما ما ينقل عن الامام أحمد مما يخالف ما تقدم فهو تخرص صديق جاهل وسوء فهم لمذهب هذا الامام (ز) .

(٦) يقول العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله فيما كتبه على العضدية عند الكلام على حديث افتراق الأمة فان قلت أن كلام الله وكلام النبى ﷺ مؤلف من الألفاظ العربية ومدلولاتها معلومة لدى أهل اللغة فيجب الاخذ بحق مدلول اللفظ كان ما كان قلت حينئذ لم يكن ناجيا الا طائفة المجسمة الظاهريون القائلون بوجوب الاخذ بجميع النصوص وترك طريق الاستدلال رأسا مع أنه لا يخفى ما فى آراء هذه الطائفة من الاختلاف مع سلوكهم طريقا ليس يفيد اليقين بوجه فان للتخاطبات مناسبات ترد بمطابقتها فلا سبيل =

فلا تدخلوا فى مذهب هذا الرجل الصالح السلفى ما ليس منه .
فلقد كسيتم هذا المذهب شينا قبيحا ، حتى صار لا يقال عن حنبلى :
الا مجسم ، ثم زينتم مذهبكم أيضا بالعصبية ليزيد بن معاوية ، وقد علمتم :
أن صاحب المذهب أجاز لعنته ، وقد كان أبو محمد التميمى يقول فى بعض
أئمتكم : لقد شان المذهب شينا قبيحا ، لا يغسل الى يوم القيامة .

* * *

= الا الى الاستدلال وتأويل ما يبدى بظاهره نقصا الى ما يفيد الكمال ، واذا
صح التأويل للبرهان فى شىء صح فى بقية الأشياء حيث لا فرق بين برهان
وبرهان ولا لفظ ولفظ (ز) .

فصل
في
(أغلاط الحنابلة)

وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه :

أولها : أنهم سموا الأخبار أخبار صفات ، وانما هي اضافات . وليس كل مضاف صفة . فانه قال تعالى : « ونفخت فيه من روحي »[1] وليس لله صفة تسمى روحا ، فقد ابتدع من سمى المضاف صفة .

والثاني : أنهم قالوا : هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى ، ثم قالوا : نحملها على ظواهرها .

فواعجبا ما لا يعلمه الا الله تعالى — أي ظاهر له — ؟ وهل ظاهر الاستواء الا القعود وظاهر النزول الا الانتقال ؟

والثالث أنهم : أثبتوا لله سبحانه وتعالى صفات . وصفات الحق — جل جلاله — لا تثبت الا بما تثبت به الذات من الأدلة القطعية .

والرابع : أنهم يفرقون في الاثبات بين خبر مشهور ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الله تعالى الى السماء الدنيا » وبين حديث لا يصح ، كقوله : « رأيت ربي في أحسن صورة » بل أثبتوا بهذا صفة وبهذا صفة .

والخامس : أنهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي . فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا .

والسادس : أنهم تأولوا بعض الألفاظ في موضع ، ولم يتأولوها في موضع . كقوله : « ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » قالوا : ضرب مثلا للانعام .

والسابع : أنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحس • فقالوا : ينزل بذاته وينتقل ويتحول ، ثم قالوا : لا كما نعقل • فغالطوا من يسمع وكابروا الحس والعقل ، فحملوا الأحاديث على الحسيات •

فرأيت الرد عليهم لازما • لئلا ينسب الامام أحمد — رحمه الله — الى ذلك واذا سكت نسبت الى اعتقادى ذلك • ولا يهولنى أمر يعظم فى النفوس • لأن العمل على الدليل وخصوصا فى معرفة الحق تعالى لا يجوز فيه التقليد • وقد سئل الامام أحمد — رحمه الله — عن مسألة فأفتى فيها • فقيل : هذا لا يقول به ابن المبارك • فقال : ابن المبارك لم ينزل من السماء • وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى : استخرت الله تعالى فى الرد على الامام مالك رحمه الله •

ولما صنف هؤلاء الثلاثة كتبا ، وانفرد القاضى « أبو يعلى » فصنف الأحاديث ، ذكرتها على ترتيبه ، وقدمت عليها الآيات الشريفة التى وردت فى ذلك •

* * *

بـــاب

ما جاء في القرآن العظيم من ذلك

قال الله سبحانه وتعالى : « ويبقى وجـه ربك »(١) قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذا قالوا في قوله تعالى : « يريدون وجهه » أي يريدونه ، وقال الضحاك وأبو عبيدة في « كل شيء هالك الا وجهه »(٢) أي الا هو .

وقد ذهب الذين أنكرنا عليهم الى أن الوجه صفة يختص باسم زائد على الذات ، فمن أين قالوا هـذا ، وليس لهم دليـل الا ما عرفـوه من الحسيات ، وذلك يوجب التبعيض ؟ ولو كان كمـا قالوا كان المعنى : أن ذاته تهلك الا وجهه .

وقال ابن حامد : أثبتنا لله تعالى وجها ولا يجوز اثبات رأس .

قلت : ولقد اقشعر بدني من جراءته على ذكر هذا . فما أعوزه في التشبيه غير الرأس ؟

ومنها قوله تعـالى : « ولتصـنع على عيني » — « واصـنع الفلك بأعيننا »(٢) أي بمرأى منا . وانمـا جمع لأن عادة الملك أن يقول : أمرنا ونهينا . وقد ذهب القاضي « أبو يعلى » الى أن العين صفة زائـدة على

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف : (وجه ربك) ذاته ، الوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربي كريم ينقذني من الهـوان .

(٢) يقول الزمخشري : (بأعيننا) في موضع الحـال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن الله معه اعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه ، هـ ويقول الرازي في أساس التقديس عند الكلام على العين : لابد من المصير الى التأويل وذلك هو أن يحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة ، والوجه في حسن هذا المجاز أن من عظمت عنايته بشيء وميله اليه ورغبته فيه كان كثير النظر اليه فجعل لفظ العين التي هي آلة لذلك النظر كناية عن شدة العناية .

الذات . وقد سبقه « أبو بكر بن خزيمة »[٣] فقال في الآية : لربنا عينان ينظر بهما ، وقال ابن حامد : يجب الايمان بأن له عينين .

وهذا ابتداع لا دليل لهم عليه ، وانما أثبتوا عينين من دليل الخطاب في قوله ﷺ : (ليس بأعور)[٤] وانما أريد : نفي النقص عنه تعالى . ومتى ثبت أنه لا يتجزأ ، لم يكن لما يتخايل من الصفات وجه .

ومنها قوله تعالى : « لما خلقت بيدي »[٥] اليد في اللغة : بمعنى النعمة والاحسان ، ومعنى قول اليهود لعنهم الله تعالى : « يد الله مغلولة » أي محبوسة عن النفقة . واليد القوة يقولون : له بهذا الأمر يد . وقوله

---

(٣) هو محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري توفى عام أحد عشر وثلاثمائة يعد في أكابر المحدثين ، كان يورع نفسه عن الخوض في مسائل الكلام وينهى أصحابه عنه ، ثم اضطره بعض أهل النظر الى الدخول في هذه المآزم فزلت قدمه وخرج الى وجوه غير معقولة سامحه الله (ز) .

(٤) طالع الحديث الخمسين الآتي ترى مزيد تفصيل عن هذا الخبر .

(٥) يقول الزمخشري : أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب : هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له : يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك : هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك . هـ وقال الراغب الاصبهاني في مفرداته : قوله تعالى (مما عملت أيدينا) وقوله (لما خلقت بيدي) عبارة عن توليه لخلقه باختراعه الذي ليس الا له عز وجل وخص لفظ اليد ليتصور لنا المعنى اذ هو أجل الجوارح التي يتولى بها الفعل في ما بيننا ، ليتصور لنا اختصاص المعنى ، لا لنتصور منه تشبيها ، وقيل معناه بنعمتي التي رشحتها لهم ، والباء فيه ليس كالباء في قولهم : قطعته بالسكين بل هو كقولهم خرج بسيفه أي معه سيفه ، معناه خلقته ومعه نعمتاي الدنيوية والأخروية اللتان اذا رعاهما بلغ بهما السعادة الكبرى .

وقال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل : (لما خلقت بيدي) أي بنفسي من غير توسط كأب وأم .

« بل يداه مبسوطتان » أى نعمته وقدرته[٦] وقوله : « لما خلقت بيدى » أى بقدرتى ونعمتى . وقال الحسن : « يد الله فوق أيديهم » أى منته واحسانه .

هذا كلام المحققين . وقال القاضى أبو يعلى : اليدان صفتان ذاتيتان تسميان باليدين .

وهذا تصرف بالرأى ، لا دليل عليه ، وقال : لو لم يكن لآدم عليه الصلاة والسلام مزية على سائر الحيوانات بخلقه باليد ـ التى هى صفة ـ لما عظمه بذكرها وأجله . فقال : « بيدى » ولو كانت القدرة لما كانت له مزية ، ولو كانت القدرة لم تثن قلنا : بلى . قالت العرب : ليس لى بهذا الأمر يدان . أى ليس لى به قدرة ، قال عروة بن حزام :

فقالا : شفاك الله . والله ما لنا   بما ضمت منك الضلوع : يدان

وقولهم : ميزه بذلك عن الحيوان .

فقد قال تعالى : « خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما » ولم يدل على تمييز الأنعام على بقية الحيوان ، قال تعالى : « والسماء بنيناها بأيد » أى بقوة . ثم قد أخبر أنه قد نفخ فيه من روحه ، ولم يرد الوضع بالفعل والتكوين ، والمعنى : نفخت أنا ويكفى شرف الاضافة . اذ لا يليق بالخالق ـ جل جلاله ـ سوى ذلك . لأنه لا يحتاج أن يفعل بواسطة ولا له أعضاء وجوارح يفعل بها ، لأنه تعالى الغنى بذاته ، فلا ينبغى أن يتشاغل بطلب تعظيم آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع الغفلة عما يستحقه البارى ـ سبحانه ـ من التعظيم بنفى الأبعاض والآلات فى الأفعال ، لأن هذه

---

(٦) فى أساس التقديس لمجدد القرن السادس الفخر الرازى : والسبب فى حسن هذا المجاز أن كمال حال هذا العضو انما يظهر بالصفة المسماة بالقدرة فلما كان المقصود من اليد حصول القدرة أطلق اسم القدرة على اليد ولأن آلة اعطاء النعمة اليد فاطلاق اسم اليد على النعمة اطلاق لاسم السبب على المسبب .

الأشياء صفة الأجسام . وقد ظن بعض الثلاثة : أن الله تعالى يمس ، حتى توهموا أنه مس طينة آدم بيد هي بعض ذاته ، وما فطنوا أن من جملة مخلوقاته جسما يقابل جسما ، فيتحد به ويفعل فيه ، أفتراه سبحانه وتعالى جعل أفعال الأشخاص والأجسام تتعدى الى أجسام بعيدة ، ثم يحتاج هو في أفعاله الى معاناة الطين ؟ وقد رد قول من قال هذا بقوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

ومنها قوله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » وقوله تعالى : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » قال المفسرون : ويحذركم الله اياه وقالوا : تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك ، وقال المحققون : المراد بالنفس ههنا الذات ، ونفس الشيء ذاته . وقد ذهب القاضي أبو يعلى الى أن لله تعالى نفسا . وهي صفة زائدة على ذاته . وهذا قول لا يستند الا الى التشبيه ، لأنه يوجب أن الذات شيء ، والنفس غيرها .

ومنها قوله تعالى : « ليس كمثله شيء »[٧] ظاهر الكلام أن له مثلا فليس كمثله شيء وليس كذلك ، انما معناه عند أهل اللغة أن يقام المثل

---

(٧) يقول الزمخشري في الكشاف : قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره : قولك للعربي : العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك : أنت لا تخفر ، ومنه قولهم : قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون ايفاعه وبلوغه اهـ .

وقال الراغب : ان الند يقال فيما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط والمساوى يقال فيما يشارك في الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل عام في جميع ذلك ولهذا لما أراد الله نفى التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال (ليس كمثله شيء) وأما الجمع بين الكاف والمثل فقد قيل ذلك لتأكيد النفى تنبيها على أنه لا يصح استعمال المثل ولا الكاف فنفى بليس الأمرين جميعا ، وقيل المثل ههنا بمعنى الصفة ومعناه : ليس كصفته صفة تنبيها على أنه وان وصف بكثير مما يوصف به البشر فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر .

مقام الشيء نفسه . يقول الرجل مثلى لا يكلم مثلك . وانما المعنى ليس كهو شيء .

ومنها قوله تعالي : « يوم يكشف عن ساق »[٨] قال جمهور العلماء: يكشف عن شدة . وأنشدوا :

« وقامت الحرب على ساق »[٩] .

وقال آخر :

« وأن شمرت عن ساقها الحرب شمرا » .

قال ابن قتيبة : وأصل هذا أن الرجل اذا وقع فى أمر عظيم يحتاج الى معاناة الجد فيه ، شمر عن ساقه . فاستعيرت الساق فى موضع الشدة . وهذا قول الفراء وأبى عبيدة وثعلب واللغويين .

وروى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن النبى ﷺ : ان الله عز وجل يكشف عن ساقه[١٠] وهذه اضافة اليه ، معناها يكشف عن شدته

---

(٨) ومما قاله الرازى فى تفسير هذه الآية : يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب عظيم واللفظ لا يدل الا على ساق فأما أن ذلك الساق ساق أى شيء هو فليس فى اللفظ ما يدل عليه .

وفى محاسن التأويل للعلامة الجمال القاسمى رحمه الله تعالى : وقال أبو سعيد الضرير : أى يوم يكشف عن أصل الأمر ، وساق الشيء أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان ، أى تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها فالساق بمعنى أصل الأمر وحقيقته استعارة من ساق الشجر .

(٩) قال البيهقى فى كتابه (الأسماء والصفات) عند الاستشهاد بهذا الكلام من الشعر : عن ابن عباس انه سئل عن قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) فقال : اذا خفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر فانه ديوان العرب .

(١٠) فى صحيح البخارى : ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد قال: سمعت النبى ﷺ يقول — يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن =

وأفعاله المضافة اليه . ومعنى يكشف عنها : يزيلها ، وقال عاصم بن كليب : رأيت سعيد بن جبير غضب . وقال : يقولون : يكشف عن ساقه ، وانما ذلك من أمر شديد . وقد ذكر أبو عمر الزاهد : أن الساق بمعنى النفس قال : ومنه قول على رضى الله عنه لما قالت الشراة لا حكم الا لله تعالى قال : لابد من محاربتهم ولو تلفت ساقى . فعلى هذا يكون المعنى يتجلى لهم .

وفى حديث أبى موسى عن النبى ﷺ أنه قال : يكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله عز وجل فيخرون لله سجدا ، ويبقى أقوام فى ظهورهم مثل صياصى البقر ، يريدون السجود ، فلا يستطيعون . فذلك قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق ، ويدعون الى السجود فلا يستطيعون » .

وقد ذهب القاضى أبو يعلى الى أن الساق صفة ذاتية . وقال : مثله يضع قدمه فى النار . وحكى عن ابن مسعود قال : يكشف عن ساقه اليمنى ، فتضىء من نور ساقه الأرض .

قلت : وذكره الساق مع القدم تشبيه محض . وما ذكره عن ابن مسعود محال ، ولا يثبت لله تعالى صفة بمثل هذه الخرافات ، ولا توصف ذاته بنور شعاعى تضىء به الأرض واحتجاجه بالاضافة . ليس بشىء ، لأنه اذا كشف عن شدته ، فقد كشف عن ساقه . وهؤلاء وقع لهم أن معنى يكشف : يظهر . وانما المعنى : يزيل ويرفع .

= ومؤمنة .. الحديث . ، قال الحافظ ابن حجر : ووقع فى هذا الموضع (يكشف ربنا عن ساقه) وهو من رواية سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الاسماعيلى كذلك ثم قال : فى قوله عن ساقه نكرة ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ — يكشف عن ساق — قال الاسماعيلى هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن فى الجملة اهـ .

وقد أخذ ابن شاقلا على البخارى اخراجه حديث الساق فى صحيحه لأنه من رواية ابن أبى هلال ويراه ليس من شرطه لضعفه . وقال ابن حزم أيضا : ابن أبى هلال ليس بالقوى قد ذكره بالتخليط يحيى وأحمد بن حنبل (ز) .

وقال ابن حامد : يجب الايمان بأن لله سبحانه وتعالى ساقا ، صفة لذاته ، فمن جحد ذلك كفر .

قلت : لو تكلم بهذا عامي جلف كان قبيحا ، فكيف بمن ينسب الى العلم . فان المتأولين أعذر منهم ، لأنهم يردون الأمر الى اللغة ، وهؤلاء أثبتوا ساقا للذات وقدما ، حتى يتحقق التجسيم والصورة .

ومنها : قوله تعالى « ثم استوى على العرش »[١١] قال الخليل بن أحمد : العرش السرير وكل سرير لملك يسمى عرشا . والعرش مشهور عند العرب في الجاهلية والاسلام . قال تعالى : «ورفع أبويه على العرش» وقال تعالى : « أيكم يأتيني بعرشها » .

اعلم : أن الاستواء في اللغة على وجوه :

منها الاعتداد . قال بعض بني تميم :

فاستوى ظالم العشيرة والمظلوم .

أي : اعتدلا .

---

(١١) يقول الآلوسي في تفسيره : والناس في الكلام على هذه الآية ونحوها مختلفون فمنهم من فسر العرش بالمعنى المشهور وفسر الاستواء بالاستقرار وروى ذلك عن الكلبي ومقاتل ورواه البيهقي في (الاسماء والصفات) بروايات كثيرة عن جماعة السلف وضعفها كلها . وما روى عن مالك رضي الله عنه أنه سئل كيف استوى فأطرق رأسه مليا حتى علته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم قال للسائل : وما أظنك الا ضالا ثم أمر به فأخرج ليس نصا في هذا المذهب لاحتمال أن يكون المراد من قوله : (غير مجهول) أنه ثابت معلوم الثبوت لا أن معناه الاستقرار وهو غير مجهول . وقال في موضع آخر : والى نحو هذا ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال في بعض فتاويه : طريقة التأويل بشرطه وهو قرب التأويل أقرب الى الحق لأن الله تعالى انما خاطب العرب بما يعرفونه وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأنه سبحانه قال : ثم أن علينا بيانه ولتبين للناس ما =

والاستواء : تمام الشيء . قال الله تعالى : «ولما بلغ أشده واستوى» والاستواء : القصد الى الشيء . قال الله تعالى : «ثم استوى الى السماء» أي : قصد خلقها . والاستواء : الاستيلاء على الشيء . قال الشاعر :

اذا ما غزا قوما أباح حريمهم   وأضحى على ما ملكوه قد استوى

وروى اسماعيل بن أبي خالد الطائي قال : العرش ياقوتة حمراء .

وجميع السلف على ايراد هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل .

وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس . فقالوا: استوى على العرش بذاته . وهذه زيادة لم ينقلوها ، انما فهموها من احساسهم . وهو أن المستوى على الشيء انما يستوى عليه بذاته . قال ابن حامد : الاستواء مماسة وصفة لذاته . والمراد به : القعود[١٢] .

= نزل اليهم ، وهذا عام في جميع آيات القرآن فمن وقف على الدليل أفهمه الله مراده من كتابه وهو اكمل ممن لم يقف على ذلك اذ لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون هـ . وفيه توسط في المسألة ، وقد توسط ابن الهمام في (المسايرة) وقد بلغ رتبة الاجتهاد كما قال عصرينا ابن عابدين الشامي في (رد المحتار) توسطا أخص من هذا التوسط فذكر ما حاصله : وجوب الايمان بأنه تعالى استوى على العرش مع نفي التشبيه وأما كون المراد استولى فأمر جائز الارادة لا واجبها اذ لا دليل عليه ، واذا خيف على العامة عدم فهم الاستواء اذا لم يكن بمعنى الاستيلاء الا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم الى الاستيلاء فانه قد ثبت اطلاقه عليه لغة في قوله :

فلما علونا واستوينا عليهم   جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وقوله : قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

(١٢) قال الجلال الدواني في شرح العضدية : وقد رأيت في بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به (أي بالقدم النوعي) في العرش ا هـ . وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه : وذلك أن ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بظواهر الآيات والأحاديث القائلين بأن الله استوى على العرش جلوسا ، فلما أورد عليه أنه يلزم أن يكون العرش أزليا لما أن الله أزلي فمكانه =

قال : وقد ذهبت طائفة من أصحابنا الى أن الله تعالى على عرشه ، ما ملأه ، وأنه يقعد نبيه معه على العرش • وقال : والنزول انتقال • وعلى ما حكى تكون ذاته أصغر من العرش • فالعجب من قول هذا [وهو] ما نحن مجسمة •

وقيل لابن الزاغونى : هل تجددت له صفة لم تكن بعد خلق العرش؟ قال : لا • انما خلق العالم بصفة التحت ، فصار العالم بالاضافة اليه أسفل، فاذا ثبتت لاحدى الذاتين صفة التحت ، ثبت للآخر استحقاق صفة الفوق• قال : وقد ثبت أن الأماكن ليست فى ذاته ، ولا ذاته فيها • فثبت انفصاله عنها • ولابد من بدء يحصل به الفصل • فلما قال استوى ، علمنا : اختصاصه بتلك الجهة ، قال : ولابد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها •

قلت : هذا رجل لا يدرى ما يقول ، لأنه اذا قدر غاية وفصلا بين الخالق والمخلوق فقد حدده ، وأقر بأنه جسم • وهو يقول فى كتابه : انه ليس بجوهر • لأن الجوهر ما تحيز ، ثم يثبت له مكانا يتحيز فيه •

قلت : وهذا كلام جهل من قائله ، وتشبيه محض • فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه ، فان وجوده تعالى ليس

= أزلى ، وأزلية العرش خلاف مذهبه قال انه قديم بالنوع أى أن الله لا يزال يعدم عرشا ويحدث آخر من الأزل الى الأبد حتى يكون له الاستواء أزلا وأبدا ولننظر أين يكون الله بين الاعدام والايجاد هل يزول عن الاستواء فليقل به أزلا فسبحان الله ما أجهل الانسان وما أشنع ما يرضى لنفسه ، ولست أعرف هل قال ابن تيمية بشىء من ذلك على التحقيق وكثيرا ما نقل عنه ما لم يقله هـ (ز) .

انظر كتاب : ابن تيمية ليس سلفيا للاستاذ الشيخ منصور محمد عويس مبعوث الأزهر الشريف الى الجمهورية العربية الليبية .
ومدير معهد التوغار الثانوى فى طرابلس .

وقال الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه « ابن تيمية » : اننا لا نميل الى طريقة ابن تيمية فى فهم المتشابه ، لأنها تفضى الى توهم التشبيه والتجسيم وخصوصا بالنسبة للعامة .

كوجود الجواهر والأجسام ، التى لابد لها من الحيز والتحت والفوق ، انما يكون فيما يقابل ويحاذى • ومن ضرورة المحاذى أن يكون أكبر من المحاذى أو أصغر أو مثله ، وأن هذا ومثله انما يكون فى الأجسام • وكل ما يحاذى الأجسام يجوز أن يمسها ، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها ، فهو حادث • اذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر : قبولها المماسة والمباينة • فان أجازوا هذا عليه ، قالوا بجواز حدوثه ، وان منعوا جواز هذا عليه ، لم يبق لنا طريق لاثبات حدث الجواهر ، ومتى قدرنا مستغنيا عن المحل والحيز ومحتاجا الى الحيز ، ثم قلنا : اما أن يكونا متجاورين أو متباينين ، كان ذلك محالا • فان التجاور والتباين من لوازم التحيز فى المتحيزات •

وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز ، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز ، لأنه لو كان متحيزا لم يخل • اما أن يكون ساكنا فى حيزه أو متحركا عنه • ولا يجوز أن يوصف بحركة ولاسكون ولا اجتماع ولا افتراق • ومن جاور أو باين فقد تناهى ذاتا • والتناهى اذا اختص بمقدار استدعى مخصصا ، وكذا ينبغى أن يقال : ليس بداخل فى العالم وليس بخارج منه لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات ، فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التى تحس بالأجرام •

وأما قولهم خلق الأماكن لا فى ذاته ، فثبت انفصاله عنها • قلنا : ذاته المقدسة لا تقبل أن يخلق فيها شىء ، ولا أن يحل فيها شىء ، وقد حملهم الحس على التشبيه والتخليط ، حتى قال بعضهم : انما ذكر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات اليه •

وهذا جهل أيضا ، لأن قرب المسافة لا يتصور الا فى جسم ، ويعز علينا كيف ينسب هذا القائل الى مذهبنا .

واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وبقوله تعالى « وهو القاهر فوق عباده »

وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن الفوقية الحسية اما أن تكون لجسم أو جوهر ، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة . فيقال : فلان فوق فلان[١٣] ثم انه كما قال تعالى : « فوق عباده » قال تعالى : « وهو معكم » فمن حملها على العلم ، حمل خصمه الاستواء على القهر[١٤] وذهب طائفة : الى أن الله تعالى على عرشه قد ملأه والأشبه أنه مماس للعرش والكرسى موضع قدميه .

قلت : المماسة انما تقع بين جسمين، وما أبقى هذا فى التجسيم بقية .

* * *

(١٣) فى التفسير الكبير للفخر الرازى : العالم كرة واذا كان الأمر كذلك امتنع أن يكون الله العالم حاصلا فى جهة فوق ، اذا فرضنا انسانين وقف أحدهما على نقطة المشرق والآخر على نقطة المغرب صار أخمص قدميها متقابلين والذى هو فوق بالنسبة لاحدهما يكون تحت بالنسبة الى الثانى ، وكونه تعالى تحت أهل الدنيا محال بالاتفاق فوجب أن لا يكون فى حيز معين .

(١٤) يقول الفخر الرازى فى أساس التقديس : ان ظاهر قوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (وهو معكم أينما كنتم) وقوله (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) ينفى كونه مستقرا على العرش ، وليس تأويل هذه الآيات لتبقى الآيات التى تمسكوا بها على ظاهرها أولى من العكس اهـ . (ز) .

فصـــل
فـى
دفـع شبهات المجسمين

فان قيل : فقد أخرج فى الصحيحين من حديث شريك بن أبى نمر عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — أنه ذكر المعراج فقال فيه : « فعلا به الى الجبار تعالى » فقال : « وهو فى مكانه : يارب خفف عنا » .

الجواب : أن أبا سليمان الخطابى قال : هذه لفظة تفرد بها «شريك» ولم يذكرها غيره . وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ . والمكان لا يضاف الى الله تعالى ، انما هو مكان النبى ﷺ ومقامه الأول الذى أقيم فيه . وفى هذا الحديث « فاستأذنت على ربى وهو فى داره » يوهم مكانا . وانما المعنى : فى داره التى دورها لأوليائه[1] .

وقد قال القاضى أبو يعلى فى كتابه « المعتمد » : ان الله عز وجـل لا يوصف بالمكان .

ومن الآيات : قوله تعالى : « ءأمنتم من فى السماء »[2] وقد ثبت قطعا : أن الآية ليست على ظاهرها ، لأن لفظة « فى » للظرفية . والحق

---

(١) زاد البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات : « وهى الجنة » .

(٢) قال الفخر الرازى فى تفسير هذه الآية : ان هـذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين لأن كونه فى السماء يقتضى كون السماء محيطا به من جميع الجوانب فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير فيلزم أن يكون الله تعالى شيئا حقيرا بالنسبة الى العـرش وذلك باتفاق أهل الاسلام محال . وقال الزمخشرى ووافقه الفخر : « من فى السماء » فيه وجهان أحدهما من ملكوته فى السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضـاياه وكتبه وأوامره ونواهيه ، والثانى انهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم =

سبحانه وتعالى غير مظروف . واذا منع الحس أن ينصرف الى مثل هذا ، بقى وصف العظيم بما هو عظيم عند الخلق .

ومنها قوله تعالى : « ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله »[٣] أى فى طاعته وأمره . لأن التفريط لا يقع الا فى ذاته . وأما الجنب المعهود من ذى الجوارح فلا يقع فيه تفريط . وقال ابن حامد : نؤمن بأن لله ــ سبحانه وتعالى ــ جنبا بهذه الآية .

فوا عجبا من عدم العقول ، اذا لم يتهيأ التفريط فى جنب مخلوق ، فكيف يتهيأ فى صفة الخالق جل جلاله ؟

وأنشد ثعلبة :

خليلى كفا واذكرا الله فى جنبى .

= أأمنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة : أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل اذا رأيته يركب بعض المعاصى ، وقال الرازى أيضا : والفرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته كما قال « وهو الله فى السموات وفى الأرض » فان الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة فى مكانين ، وقال أيضا : لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله (من فى السماء) هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام .

(٣) يقول الزمخشرى فى كشافه : والجنب الجانب ، يقال : أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب . ثم قالوا : فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه ، قال سابق البربرى :

أما تتقين الله فى جنب وامق ... له كبد حرى عليك تقطع

وقال السيد محمود الآلوسى فى تفسيره « روح المعانى » : وبالجملة لا يمكن ابقاء الكلام على حقيقته لتنزهه عز وجل من الجنب بالمعنى الحقيقى ولم أقف على عد أحد من السلف اياه من الصفات السمعية ، ولا أعول على ما فى المواقف ، وعلى فرض العد كلامهم فيها شهير وكلهم مجمعون على التنزيه وسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وفى حرف عبد الله وحفصة (فى ذكر الله) . هـ وقال العلامة القاسمى فى تفسيرها : أى فى جانب أمره ونهيه اذ لم أتبع أحسن ما أنزل .

أى فى أمرى .

ومنها قوله تعالى : « فنفخنا فيه من روحنا »[٤] قال المفسرون . أى من رحمتنا . وانما نسب الروح اليه ، لأنه بأمره كان .

ومنهـا : قوله تعـالى « يؤذون الله »[٥] أى يؤذون أوليـاءه . كقوله تعالى : « واسئل القرية » أى أهلها .

وقال ﷺ : « أحد جبل يحبنا ونحبه » .

وقال الشاعر :

أنبئت أن النار بعـدك أوقـدت   واستب بعـدك ياكليب المجلس

ومنها : قوله تعالى : « هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام »[٦] أى بظلل . وكذلك قوله تعالى : « وجاء ربك » ذكر القاضى أبو يعلى عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال فى قوله تعالى « أن يأتيهم الله »

---

(٤) قال الشهاب الآلوسى : (ونفخت فيه من روحى) تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها فليس ثمة نفخ ولا منفوخ أى فاذا أكملت استعداده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح الطاهرة التى هى أمرى .

(٥) قال الآلوسى (أن الذين يؤذون الله ورسوله) أريد بالايذاء أمـا ارتكاب ما لا يرضيانه من الكفر وكبائر المعاصى مجازا لأنه سبب أو لازم له وأن كان ذلك بالنظر اليه تعالى بالنسبة الى غـيره سبحانه فانه كاف فى العلاقة ، وقيل فى ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين : يد الله مغلولة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(٦) ومما قاله جار الله الزمخشرى : ويجوز أن يكون المأتى به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله « فان الله عزيز » فان قلت : لم يأتيهم العذاب فى الغمام ؟ قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الغيث ، ومن ثمة أشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله تعالى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) هـ .

قال : المراد به : قدرته وأمره قال وقد بينه فى قوله تعالى : « ويأتى أمر ربك » ومثل هذا فى التوراة [فى قوله] : « وجـاء ربك » قال : انما هى قدرته .

قال ابن حامد : وهذا خطأ انما ينزل بذاته بانتقال .

قلت : وهذا كلام فى ذات الله تعالى بمقتضى الحس ، كما يتكلم فى الأجسام .

قال ابن عقيل فى قوله تعالى: «قل الروح من أمر ربى» قال : من كف خلقه عن السـؤال عن مخلوق ، فكفهم عن الخالق وصـفاته أولى .

وأنشدوا :

كيفية النفس ليس المـرء يدركها   فكيف كيفية الجبـار فى القدم

* * *

= وساق الفخر الرازى فى هذا المعنى فصلا مشبعا ـ شأنه فى تفسير آيات الصفات ـ الى أن قال : أن قوله (يأتيهم الله) وقوله (وجاء ربك) أخبار عن حال القيامة ثم ذكر هذه الواقعة بعينها فى سورة النحل فقال (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك) فصار هذا المحكم مفسرا لذلك المتشابه لان كل هذه الآيات لما وردت فى واقعة واحدة لم يبعد حمـل بعضها على بعض ، وقال تعالى بعـده (وقضى الأمر) ولا شك أن الألف واللام للمعهود السابق فلابد وأن يكون قد جرى ذكر أمر قبـل ذلك حتى تكون الالف والـلام اشـارة اليه وما ذاك الا الذى أضمرناه من أن قوله (يأتيهم الله) أى يأتيهم أمر الله . وانهى كلامه بقوله : والذى هو أوضـح عندى من كل ما سلف أنا ذكرنا أن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم كافة) انما نزلت فى حق اليهود وعلى هذا التقدير فقوله (فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم) يكون خطابا مع اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) ، حكاية عن اليهود ، والمعنى انهم لا يقبلون دينك الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ، الا ترى انهم فعلوا مع موسى مثل ذلك .

فقالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) واذا كان هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع اجراء الآية على ظاهرها وذلك لان اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله المجىء والذهاب وكانوا يقولون : أنه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور فى ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك فى زمن محمد ﷺ .

بـــاب

ذكر الأحاديث التى سموها أخبار الصفات

وتأويلهم لها وتأويلاتنا لهـا

اعلم : أن فى الأحاديث دقائق وآفات لا يعرفها الا العلماء الفقهاء . تارة فى نقلها ، وتارة فى كشف معناها . وسنوضح ذلك ان شاء الله تعالى.

الحديث الأول : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حـديث أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله تعالى آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ على صورته »[1] .

وللناس فى هذا مذهبان :

أحدهما : السكوت عن تفسيره .

والثانى : الكلام فى معناه :

واختلف أرباب هــذا المذهب فى الهاء الى من تعــود ؟ على ثلاثة أقــوال :

أحدها : تعود الى بعض بنى آدم . قال : وذلك أن النبى ﷺ مــر برجل يضرب رجلا وهو يقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك . فقال ﷺ « اذا ضرب أحدكم فليتق الوجه ، فان الله تعالى خلق آدم على صورته » وانما خص آدم بالذكر ، لأنه هو الذى ابتدئت خلقة وجهــه

---

(١) يقول الراغب الاصفهانى : الصورة اراد بها ما خص الانسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة وبها فضله على كثير من خلقه ، واضافته الى الله سبحانه على سبيل الملك لا سبيل البعضية والتشبيه تعالى عن ذلك وذلك على سبيل التشريف له كقوله بيت الله وناقة الله ونحو ذلك ونفخت فيه من روحى .

على هذه الصورة التى احتذى عليها من بعده ، وكأنه نبه على أنك سببت آدم وأنت من ولده . وذلك مبالغة فى زجره . فعلى هذا تكون الهاء كناية عن المضروب[٢] .

ومن الخطأ الفاحش : أن ترجع الى الله عز وجل . لقوله « ووجه من أشبه وجهك » فانه اذا نسبه اليه سبحانه كان تشبيها صريحا .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ انه قال : « اذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه ، فان الله تعالى خلق آدم على صورته » .

القول الثانى : أن الهاء كناية عن اسمين ظاهرين ، فلا يصلح أن تصرف الى الله عز وجل لقيام الدليل على أنه تعالى ليس بذى صورة . فعادت الى آدم ، ومعنى الحديث : ان الله تعالى خلق آدم على صورته التى خلقه عليها ، تاما لم ينقله من نطفة الى علقة كبنيه[٣] . وهذا مذهب أبى سليمان الخطابى ، وقد ذكره ثعلب فى أماليه .

القول الثالث : أنها تعود الى الله تعالى ، وفى معنى ذلك قولان :

أحدهما : أن تكون صورة ملك . لأنها فعله وخلقه ، فتكون اضافتها اليه من وجهين :

---

(٢) مما أورده الرازى فى تأويل هذا الخبر قوله : أن المراد منه ابطال قول من يقول أن آدم كان على صورة أخرى مثل ما يقال أنه كان عظيم الجثة طويل القامة بحيث يكون رأسه قريبا من السماء فالنبى عليه السلام أشار الى انسان معين (وهو المضروب) .

وقال — ان الله خلق آدم على صورته — أى كان شكل آدم مثل شكل هذا الانسان من غير تفاوت البتة (ز) .

(٣) ومن الوجوه التى سردها الفخر فى هذا المقام قوله : أنه تعالى لما عظم أمر آدم بجعله مسجود الملائكة ، ثم أنه أتى بتلك الزلة فالله تعالى لم يعاقبه بمثل ما عاقب به غيره فانه نقل أن الله تعالى أخرجه من الجنة وأخرج معه الحية والطاووس وغير تعالى خلقهما مع أنه لم يغير خلقة آدم بل تركه على الخلقة الأولى اكراما له وصونا له عن عذاب المسخ هـ . وذهب البيهقى هذا المذهب (ز) .

أحدهما : التشريف بالاضافة . كقوله تعالى : « وطهر بيتى للطائفين »
والثاني : ابتدعها ، لا على مثال سبق .

والقول الثاني : أن تكون الصورة بمعنى الصفة تقول : هذا صورة هذا الأمر . أى صفته . ويكون خلق آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والارادة . فميزه بذلك عن جميع الحيوانات ، ثم ميزه على الملائكة بصفة التعالى حين أسجدهم له ، والصورة ههنا معنوية لا صورة تخاطيط .

وقد ذهب أبو محمد بن قتنية[٤] فى هذا الحديث الى مذهب قبيح . فقال : لله تعالى صورة لا كالصور ، فخلق آدم عليها . وهذا تخليط وتهافت ، لأن معنى كلامه : أن صورة آدم كصورة الحق — تعالى — وقال القاضي أبو يعلى : يطلق على الحق تعالى تسمية الصورة لا كالصور ، كما أطلقنا اسم ذاته . وهذا تخليط لأن الذات بمعنى شيء ، وأما الصورة فهى هيئة وتخاطيط وتأليف ، وتفتقر الى مصور ومؤلف . وقول القائل : لا كالصور . نقض لما قاله ، وصار بمثابة من يقول : جسم لا كالأجسام . فان الجسم ما كان مؤلفا . فاذا قال لا كالأجسام ، نقض ما قال .

الحديث الثاني : روى عبد الرحمن بن عياش عن النبى ﷺ أنه قال : « رأيت ربى فى أحسن صورة . فقال لى : فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد ؟ قلت : أنت أعلم يارب . فوضع كفه بين كتفى ، فوجدت بردها بين ثديى ، فعلمت ما فى السموات والأرض » .

قال الامام أحمد : أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة وقد روى من حديث أبى هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ : « أتانى آت فى أحسن

(٤) هو صاحب التصانيف ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة أحد ائمة الأدب ، اخبارى ، قليل الرواية ، قد يعتمد فى التشبيه على ما يرويه من كتب أهل الكتاب ، يتهم بالنصب ، كذبه الحاكم ووثقه غيره ، مات عام ست وسبعين ومائتين (ز) .

صورة . فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت : لا أدرى . فوضع كفه بين كتفى ، فوجدت بردها بين ثديى ، فعرفت كل شيء يسألنى عنه » .

وروى من حديث ثوبان قال : خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح . فقال : ان ربى أتانى الليلة فى أحسن صورة . فقال لى : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أعلم يارب ، فوضع كفه بين كتفى ، حتى وجدت برد أنامله فى صدرى ، فتجلى لى ما بين السماء والأرض » .

وهـذه أحاديث مختلفة وأحسن طرقهـا يدل على أن ذلك كان فى النوم ، ورؤيا المنام : وهم . والأوهام لا تكون حقائق[٥] وان الانسان يرى كأنه يطير أو كأنه قد صار بهيمة . وقد رأى أقوام فى منامهم الحق سبحانه على ما ذكرنا .

وان قلنا : أنه رآه فى اليقظة ، فالصورة ان قلنا ترجع الى الله تعالى ، فالمعنى : رأيته على أحسن صفاته من الاقبال على والرضى عنى . وان قلنا : ترجع الى رسول الله ﷺ فالمعنى : رأيته وأنا على أحسن صورة[٦] .

وروى ابن حامد من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما عن النبى ﷺ

---

(٥) يقول الحافظ ابن حجر فى مثل هـذا المقام : ولا التفات الى من تعقب كلامه بقوله . فى الحديث الصحيح (أن رؤيا الأنبياء وحي) فلا يحتاج الى تعبير لانه كلام من لم يمعن النظر فى هذا المحل فقد تقدم فى كتاب التعبير أن بعض رؤية الأنبياء يقبل التعبير ا هـ (ز) .

(٦) بقى على المؤلف أن يتكلم على عجز الحديث ونحن ننقل عن (أساس التقديس) للفخر الرازى ما يفى بالغرض ، وأما قوله ـ وضع يـده بين كتفى ـ ففيه وجهان . الاول المراد منه المبالغة فى الاهتمام بحالة والاعتناء بشأنه . الثانى أن يكون المراد من اليد النعمة . وأما قوله ـ بين كتفى ـ فان صح فالمراد منه أنه اوصل الى قلبه من أنواع اللطف والرحمة . وأما قوله ـ فوجدت بردها فيحتمل أن المعنى برد النعمة وروحها وراحتها من قولهم : عيش بارد اذا كان رغدا ، والذى يدل على ان المراد منـه كمال المعارف قوله عليه السـلام فى آخـر الحديث ـ فعلمت ما بين المشرق والمغرب هـ .

أنه قال : « لما أسرى بى رأيت الرحمن تعالى فى صورة شاب أمرد ، له نور يتلألأ . وعن عن(٧) وصفه لكم . فسألت ربى أن يكرمنى برؤيته ، واذ كأنه عروس حين كشف عنه حجابه ، مستو على عرشه » وهذا الحديث كذب قبيح ، ما روى قط ، لا فى صحيح ولا فى كذب . فأبعد الله تعالى من عمله . فقد كنا نقول ذاك منام ، فيذكر هذا ليلة الاسراء . كافأهم الله عز وجل وجزاهم النار ، يشبهون الله سبحانه وتعالى بعروس ؟ ما كتب هذا مسلم .

وأما حديث البرد فى الحديث الماضى ، فان البرد عرض ، لا يجوز أن ينسب الى الله عز وجل . وقد ذكر القاضى أبو يعلى فى كتابه الكناية [فى] « رأيت ربى فى أحسن صورة » أى فى أحسن موضع .

الحديث الثالث : روت أم الطفيل امرأة أبى أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر « أنه رأى ربه عز وجل فى المنام ، فى أحسن صورة شابا منورا فى خضر ، فى رجليه نعلان من ذهب ، وعلى وجهه فراش من ذهب » .

هذا الحديث يرويه نعيم بن حماد ، قال ابن عدى : كان يضع الحديث . وسئل [عنه] الامام أحمد فأعرض بوجهه عنه . وقال : حديثه منكر مجهول .

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : « رأيت ربى جعدا أمرد ، عليه حلة خضراء » وهذا مروى من طريق حماد بن سلمة .

وكان ابن أبى العوجاء الزنديق ربيب حماد وكان يدس فى كتبه هذه الأحاديث [التى] لا ثبوت لها ، ولا يحسن أن يحتج بها .

وقد أثبت القاضى أبو يعلى صفات لله تعالى . فقال : قوله « شاب وأمرد وجعد وقطط والفراش والنعلان والتاج » ثبت ذلك تسمية لا نعقل معناها . ومن يثبت بالمنام وما صح نقله [هو] صفات : وقد عرفنا معنى

---

(٧) هكذا فى الاصل المحفوظ لدينا .

الشاب والأمرد • ثم يقول : ما هو كما نعلم كمن يقول قام فلان وما هو بقائم وقعد وما هو بقاعد • قال ابن عقيل : هذا الحديث نجزم بأنه كذب ، ثم لا تنفع ثقة الرواة اذا كان المتن مستحيلا ، وصار هذا كما لو أخبرنا جماعة من المعدلين بأن جمل البزاز دخل فى خرم ابرة الخياط ، فانه لا حكم لصدق الرواة مع استحالة خبرهم •

الحديث الرابع : روى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ليلة أسرى بى رأيت كل شيء من ربي ، حتى رأيت تاجا مخوصا من لؤلؤ » • هـذا يرويه أبو القـاسم محمـد بن اليسع عن قاسم بن ابراهيم • قال الأزهرى : كنت أقعد مع ابن اليسع ساعة • فيقول : قد ختمت الختمـة منذ قعدت • وقاسم ليس بشيء ، قال الدارقطنى هو كذاب • كافأ الله تعالى من عمل هذا •

الحديث الخامس : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه • فيتبعون ما كانوا يعبدون ، وتبقى هـذه الأمة بمنافقيها • فيـأتيهم الله تعـالى فى غير الصـورة التى يعرفون ، فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله تعالى منك هذا مكاننا ، حتى يأتينا ربنـا • فاذا جاء ربنا عرفناه • فيأتيهم فى الصورة التى يعرفونهـا • فيقول : أنا ربكم • فيقولون : أنت ربنا » •

وفى الصحيحين من حـديث أبى سـعيد عن النبى ﷺ أنه قال : « فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة • فيقول : أنا ربكم • فيقولون : أنت ربنا فلا يكلمـه الا الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام • فيقال : هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون : السـاق • فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن »(٨) •

---

(٨) تقدم الكلام على هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى « يوم يكشف عن سـاق » •

اعلم : أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى، لا يجوز عليه الصورة التى هى هيئة وتأليف ، قال أبو سليمان الخطابى : معنى « فيأتيهم الله تعالى » أي يكشف الحجاب لهم حتى يرونه عيانا ، كما كانوا عرفوه فى الدنيا ، استدلالا . فرؤيته بعد أن لم يكونوا رأوه [هى] بمنزلة اتيان الآتى ، ولم يكن شوهد قبل .

وقال بعض العلماء : يأتيهم بأهوال القيامة وصور الملائكة[٩] ولم يعهدوا مثله فى الدنيا ، فيستعيذون من تلك الحال ، ويقولون اذا جاء ربنا عرفناه . أى اذا أتانا بما نعرفه من لطفه . وهى الصورة التى يعرفون ، فيكشف عن ساق ، أى عن شدة ، كأنه يرفع تلك الشدائد المهولة ، فيسجدون شكرا .

وقال بعضهم : صورة يمتحنهم بها . كما يبعث « الدجال » فيقولون : نعوذ بالله تعالى منك .

وفى حديث أبى موسى عن رسول الله ﷺ : « ان الناس يقولون : ان لنا ربنا كنا نعبده فى الدنيا ، فيقال : أوتعرفونه اذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم . فيقال : كيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : انه لا شبيه له . فيكشف الحجاب فينظرون الى الله عز وجل فيخرون سجدا » .

قال ابن عقيل : الصورة على الحقيقة تقع على التخاطيط والأشكال ، وذلك من صفات الأجسام . والذى صرفنا عن كونه جسما من الأدلة القطعية : قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ومن الأدلة العقلية : أنه لو كان جسما ، كانت صورته عرضا ، ولو كان حاملا للأعراض ، لجاز عليه ما يجوز على الأجسام ، وافتقر الى صانع ، ولو كان جسما مع قدمه ، جاز قدم أحدنا . فأحوجتنا الأدلة الى تأويل صورة تليق اضافتها اليه .

---

(٩) باعتبار (فى) بمعنى الباء ونظيره قول ابن عباس فى قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) أى بظلل من الغمام على ما نقله الفخر الرازى فى كتابه (أساس التقديس) (ز) .

وما ذلك الا الحال الذى يوقع عليها أهل اللغة اسم صورة • فيقولون : كيف صورتك مع فلان ؟ وفلان على صورة من الفقر • والحال التى أنكروها : العسف • والتى يعرفونها : اللطف • فيكشف عن الشدة ، والتغير انما يليق بفعاله فأما ذاته ، فتعالت عن التغير • نعوذ بالله أن يحمل الحديث على ما قالته المجسمة [وهو] ان الصورة ترجع الى ذاته ، وان ذلك تجويز التغير على صفاته • فخرجوه فى صورة ان كانت حقيقة ، فذاك استحالة • وان كان تخيلا فليس ذاك هو ، انما يريهم غيره •

الحديث السادس : روى مسلم فى صحيحه من حديث المغيرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا شخص أغير من الله • ولذلك حرم الفواحش ولا شخص أحب اليه المدحة من الله » •

لفظة « لا شخص » يرويها بعض الرواة ويروى بعضهم : « لا شيء أغير من الله » والرواة يروون بما يظنونه المعنى ، وكذلك « شخص » من تغيير الرواة • وقد يكون المعنى ليس منكم أيها الأشخاص أغير من الله ، لأنه لما اجتمع الكل بالذكر ، سمى بأسمائهم • والشخص لا يكون الا جسما مؤلفا • ومثل هذا قول ابن مسعود وهو « وما خلق من جنة ولا نار أعظم من آية الكرسى » •

قال الامام أحمد بن حنبل : الخلق يرجع الى الجنة والنار ، لا الى القرآن • ويجوز أن يكون هذا من باب المستثنى من غير الجنس • كقوله تعالى : « ما لهم به من علم الا اتباع الظن » •

وأما الغيرة • فقد قالت العلماء : كل من غار من شيء أسندت كراهته له ، فلما حرم الفواحش ووعد عليها ، وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغيرة •

الحديث السابع : روى أبو موسى عن النبى ﷺ قال : « ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض »[١٠] •

---

(١٠) يقول السيوطى فى الجامع الكبير : اخرجه أبو داود والترمذى وأحمد والحاكم والبيهقى فى السنن والطبرانى فى الكبير وابن سعد .

وانما أضيفت القبضة ، لأن أفعال المملوك تنسب الى المالك . وذلك أنه بعث من قبض ، كقوله تعالي : « فطمسنا أعينهم » وقد روى محمد بن سعد في كتاب الطبقات : أن الله تعالى بعث ابليس فأخذ من أديم الأرض ، فخلق منه آدم ، فمن ثم قال : « أأسجد لمن خلقت طينا » ؟

الحديث الثامن : روى سلمان قال : « ان الله لما خمر طينة آدم ، ضرب بيديه فيه ، فخرج كل طيب في يمينه ، وكل خبيث في يده الأخرى ، ثم خلط بينهما . فمن ثم يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي » .

وهذا مرسل . وقد ثبت بالدليل : أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ لا يوصف بمس شيء ، وان صح ، فيضرب مثلا : لما جرت به الأقدار . وقال القاضي أبو يعلى : تخمير الطين وخلط بعضه ببعض ، مضاف الى اليد ، التي خلق بها آدم . وهذا هو التشبيه المحض .

الحديث التاسع : روى عبيد بن حنين قال : بينا أنا جالس في المسجد اذ جاء قتادة بن النعمان فجلس فتحدث ، ثم قال : انطلق بنا الى أبي سعيد الخدري فانه قد أخبرت أنه قد اشتكى ، فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد ، فوجدناه مستلقيا واضعا رجله اليمنى على اليسرى . فسلمنا عليه وجلسنا ، فرفع قتادة يده الى رجل أبي سعيد الخدري وقرصها قرصة شديدة . فقال أبو سعيد : سبحان الله يا ابن أم . أوجعتني . قال : ذلك أردت . ان رسول الله ﷺ قال : « ان الله تعالي لما قضي خلقه استلقي ، ثم وضع احدى رجليه على الأخري ، ثم قال : لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا » قال أبو سعيد : لا جرم لا أفعله أبدا[١١] .

---

(١١) روي الحافظ البيهقي هذا الخبر في (الاسماء والصفات) وقال : فهذا حديث منكر ولم اكتبه الا من هذا الوجه وفليح بن سليمان ـ أحد رواته ـ مع كونه من شرط البخارى ومسلم فلم يخرجا حديثه هذا في الصحيح وهو عند الحفاظ غير محتج به ، وعن يحيى بن معين يقول : فليح بن سليمان لا يحتج بحديثه ، وعنه يقول : فليح ضعيف ، وعن النسائي أنه قال : فليح ليس بالقوى قال الشيخ : فاذا كان فليح بن سليمان المدنى مختلفا في جواز الاحتجاج به عند الحفاظ لم يثبت بروايته مثل هذا الامر العظيم هـ . وذكر ايضا علة عدم اجتماع عبيد بقتادة (ز) .

قال عبد الله بن حنبل : ما رأيت هـذا الحديث فى دواوين الشريعة المعتمد عليها • وأما عبيد بن حنين فقال البخارى : لا يصح حديثه فى أهل المدينـة • وفى الحديث علة أخرى وهى : أن قتادة بن النعمـان مات فى خلافة عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة ، وله خمس وسبعون سنة فى قول الواقدى • فتكون روايته عن قتادة بن النعمان منقطعـة •

قال الامام أحمد : ثم لو صح طريقه احتمل أن يكون رسول الله ﷺ حدث به عن بعض أهـل الكتاب ، على طريق الانكـار عليهم ، فلم يفهم « قتادة » انكاره •

ومن هذا الفن : حديث رويناه : أن الزبير سمع رجـلا يحدث عن رسـول الله ﷺ فاستمع له الزبير حتى اذا قضى الرجـل حديثه ، قال له الزبير : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال الرجـل : نعم • قال : هذا وأشباهه مما يمنعان أن نحدث عن النبى ﷺ قد لعمرى سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأنا يومئذ حاضر ، ولكن رسـول الله صلى الله عليه وسلم : ابتدأ بهذا الحديث فحدثناه عن رجل من أهل الكتاب حدثه يومئذ ، فجئت أنت بعد انقضاء صدر الحديث ، وذكر الرجل الذى هو من أهـل الكتاب ، فظننت أنه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

قلت : وغالب الظن : أن الاشارة فى حديث الزبير الى حديث قتادة • فان أهـل الكتاب قالوا : ان الله تعـالى لمـا خلق السموات والأرض استراح • فنزل قوله تعالى : « وما مسنا من لغوب » فيمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى ذلك عنهم ، ولم يسمع « قتادة » أول الكلام •

وقد روى عبد الرحمن بن أحمد فى كتاب « السنة » قال : رأيت الحسن قد وضع رجله اليمنى على شماله ، وهو قاعد • فقلت : يا أبا سعيد تكره هذه القعدة ؟ فقال : قاتل الله اليهود • ثم قرأ قوله تعالى : « ولقد

خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وما مسنا من لغوب »
فعرفت ما عنى به ، فأمسكت .

قلت : وانما أشار « الحسن » الى ما ذكرناه عن اليهود . وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر — رضى الله عنهما — أنهم كانوا يستلقون ويضعون رجلا على رجل ، وانما يكره هذا لمن لا سراويل له والله أعلم .

الحديث العاشر : روى القاضي أبو يعلى عن حسان بن عطية : أن رجلا من المشركين سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل عليه رجل من المسلمين ، فقتله وقتل الرجل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تعجبون من نصر الله تعالى ورسوله ، لقى الله تعالى متكئا فقعد له » .

[قلت] : هذا حديث مقطوع بعيد عن الصحة ، ولو كان له وجه ، لكان المعنى : فأقبل الله تعالى عليه ، وأنعم .

الحديث الحادي عشر : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوى بعضها الى بعض »(١٢) .

قلت : الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله عز وجل لا تتبعض ، ولا يحويها مكان ولا توصف بالتغير ولا بالانتقال ، وقد حكى أبو عبيد الهروى عن الحسن البصرى أنه قال : القدم : هم الذين قدمهم الله لها من شرار خلقه وأثبتهم اليها وقال أبو منصور الأزهرى : القدم : الذين يقومون

---

(١٢) يقول جار الله الزمخشري في كتابه (الفائق في غريب الحديث) : وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكأنه قال : يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع هـ ، وفي أساس البلاغة : من المجاز (فيضع قدمه عليها) أى فيسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قدمه على الشيء المضطرب فيسكنه .

القوم بتخليدهم فى النار يقال لما قدم : قدم ولما هدم : هدم ، ويؤيد هذا : قوله : « وأما الجنة فينشىء لها خلقا » ووجه ثان : أن كل قادم عليها يسمى قدما . فالقدم جمع قادم ، ومن يرويه بلفظ « الرجل » فانه يقال : « رجل من جراد » فيكون المراد : يدخلها جماعة يشبهون فى كثرتهم الجراد ، فيسرعون التهافت فيها .

قال القاضى أبو يعلى : القدم صفة ذاتية ، وقال ابن الزاغونى : يقول انما وضع قدمه فى النار ، ليخبرهم أن أصنامهم تحترق وأنا لا احترق . وهذا اثبات تبعيض ، وهو من أقبح الاعتقادات .

ورأيت أبا بكر بن خزيمة قد جمع كتابا فى الصفات[١٣] وبوبه . فقال : باب اثبات اليد — باب امساك السموات على أصابعه — باب اثبات الرجل وأن رغمت المعتزلة . ثم قال : قال الله تعالى : « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها » ؟ فأعلمنا : أن ما لا يد له ولا رجل ، فهو كالأنعام .

قال ابن عقيل : تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة ، وليس الحق تعالى بذى أجزاء وأبعاض ، فيعالج بها ، ثم انه أليس يعمل فى النار أمره وتكوينه حتى يستعين بشىء من ذاته ويعالجها بصفة من صفاته وهو القائل : « كونى بردا وسلاما » ؟ فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن مكون الأملاك والأفلاك . وقد صرح بتكذيبهم فقال تعالى : « لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها » فكيف يظن بالخالق أن يردها ؟ تعالى الله عن تجاهل المجسمة .

الحديث الثانى عشر : روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال :

---

(١٣) وهو الكتاب الذى يسميه « كتاب التوحيد » ، والامام فخر الدين الرازى يقول عنه : وهو فى الحقيقة (كتاب الشرك) . (ز) .

«ضرس الكافر في النار مثل أحد، وكثافة جلده إثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار»(١٤).

قال أبو عمرو الزاهد: الجبار ههنا: الطويل، يقال: نخلة جبارة(١٥)، قال القاضي أبو يعلى: نحملها على ظاهرها. والجبار: هو الله عز وجل.

قلت: واعجبا. أذهبت العقول الى هذا الحد؟ أو يجوز أن يقال: إن الذراع اثنان وأربعون مرة، حتى يبلغ جلد الكافر، ويضاف الى الذات القديمة — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا —.

الحديث الثالث عشر: روى القاضي أبو يعلى عن مجاهد أنه قال: اذا كان يوم القيامة يذكر داود عليه الصلاة والسلام ذنبه، فيقول الله تعالى: كن أمامي. فيقول: يارب ذنبي ذنبي. فيقول: كن خلفي. فيقول: يارب ذنبي. فيقول له: خذ بقدمي. وفي لفظ عن ابن سيرين قال: ان الله تعالى: ليقرب داود حتى يضع يده على فخذه.

والعجب من اثبات ذلك للحق سبحانه وتعالى بأقوال التابعين. وما يصح عنهم، ولو صح فانما يذكرونه عن أهل الكتاب، كما يذكر وهب ابن منبه.

قال القاضي أبو يعلى: نحمله على ظاهره، لأننا لا نثبت قدما وفخذا هو جارحة.

---

(١٤) يقول الشيخ إسماعيل العجلوني في كتابه (كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس): رواه مسلم عن ابى هريرة (بالفاظ متقاربة).

(١٥) قال ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) في كلامه على هذا الحديث: ونحن نقول أن لهذا الحديث مخرجا حسنا أن كان النبي ﷺ أراده وهو أن يكون الجبار ههنا الملك قال الله تعالى (وما أنت عليهم بجبار) أي بملك مسلط والجبابرة الملوك، وهذا كما يقول الناس: هو كذا كذا ذراعا بذراع الملك يريدون: بالذراع الاكبر، وأحسبه ملكا من ملوك العجم كان تام الذراع فنسب اليه.

واعجبا ، لقد كملوا هيئة البدن باثبات فخذ وساق وقدم ووجه ويدين وأصابع وخنصر وابهام وصعود ونزول ، ويقولون : تحمل على ظاهرها وليست جوارح . وهل يجوز لعاقل أن يثبت لله تعالى خلفا وأماما وفخذا ؟ ما ينبغى أن نحدث هؤلاء ، لأنا قد عرفنا الفخذ ، فيقال : ليس بفخذ ، والخف ليس بخف ، ومثل هؤلاء لا يحدثون ، فانهم يكابرون العقول كأنهم يحدثون الأطفال .

الحديث الرابع عشر : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة » وفى افراد مسلم من حديث ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ أخبر عن آخر من يدخل الجنة ، وضحك ، فقيل : مم تضحك ؟ فقال : « من ضحك رب العالمين » .

اعلم : أن الضحك له معان ترجع الى معنى البيان والظهور ، وكل من أبدى عن أمر كان مستورا قيل : قد ضحك . يقال : ضحكت الأرض بالنبات ، اذا ظهر فيها ، وانفتق عن زهره ، كما يقال : بكت السماء ، قال الشاعر :

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء

وكذلك الضحك الذى يعترى البشر ، انما هو انفتاح الفم عن الأسنان وهذا يستحيل على الله — سبحانه وتعالى — فوجب حمله على معنى أبدى الله — تعالى — كرمه وفضله . ومعنى « ضحكت لضحك ربى » : أبديت عن أسنانى ، بفتح فمى ، لاظهار ربى كرمه وفضله . وقد روى فى حديث موقوف : « ضحك حتى بدت لهواته وأضراسه » ذكره الخلال فى كتاب « السنة » .

وقال الروزى ، قلت لأبى عبد الله : ما تقول فى هذا الحديث ؟ قال : يشنع . ثم يقول : على تقدير الصحة يحتمل أمرين .

أحدهما : أن يكون ذلك راجعا الى النبى ﷺ كأنه ضحك حين أخبر بضحك الرب جل جلاله حتى بدت لهواته واضراسه . وهذا هو الصحيح ، لو ثبت الحديث .

والثاني : أن يكون تجوزا عن كثرة الكرم وسعة الرضى ، كما جوز بقوله : « ومن أتانى يمشى أتيته هرولة » .

قال القاضي أبو يعلى : لا يمتنع الأخـذ بظاهر الأحاديث وامرارها على ظواهرها من غير تأويل .

قلت : واعجبا . قد أثبت لله تعالى صفات بأحاديث آحاد ، وألفاظ لا تصح . وقد أثبت الأضراس . فما عنده من الاسلام خبر .

الحديث الخامس عشر : روى القاضي أبو يعلى عن عبد الله بن عمر موقوفا أنه قال : « خلق الله تعالى الملائكة من نور الذراعين والصدر » .

وقد أثبت به « القاضي » ذراعين وصدرا لله عز وجل . وهذ قبيح . لأنه حديث ليس بمرفوع ولا يصح ، وهل يجوز أن يخلق مخلوق من ذات القديم ؟ هذا أقبح مما ادعاه النصارى .

الحديث السادس عشر : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبى ﷺ قال : « يدنى المؤمن من ربه فيضع عليـه كنفه فيقول : تعرف ذنب كذا ؟ » .

قال العلماء : يدنيه من رحمته ولطفه ، قال ابن الانبارى : كنفه : حياطته وستره . يقال : قد كنف فلان فلانا اذا أحاطه وستره ، وكل شيء ستر شيئا فقد كنفه ، ويقال للترس : كنيف ، لأنه يستـتر صاحبه . قال القاضي أبو يعلى : يدنيه من ذاته . وهذا قول من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ، ولا يعلم أنه لا يجوز عليه الدنو الذى هـو مسافة . وكذلك قوله : « انه ليدنو يوم عرفة » أى يقرب بلطفه وعفوه .

الحديث السابع عشر : روى مسلم فى افراده من حديث معاوية بن الحكم قال : كانت لى جارية ترعى غنما لى . فانطلقت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب بشاة فصككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك على فقلت ألا أعتقها قال : « ائتنى بها » فقال لها : « أين الله تعالى ؟ » قالت : فى السماء . قال قال : « من أنا ؟ » قالت : رسول الله ﷺ فقال : « أعتقها فانها مؤمنة » .

قلت : قد ثبت عند العلماء : أن الله تعالى لا تحويه السماء ولا الأرض ، ولا تضمه الاقطار ، وانما عرف باشارتها : تعظيم الخالق جل جلاله عندها .

الحديث الثامن عشر : رواه أبو رزين قال : قلت : يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان فى عماء ، ما تحته هواء ، ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء »[١٦] .

العماء السحاب . واعلم : أن الفوق والتحت يرجعان الى السحاب ، لا الى الله تعالى و « فى » بمعنى فوق ، والمعنى : كان فوق السحاب بالتدبير والقهر . ولما كان القوم يأنسون بالمخلوقات ، سألوا عنها والسحاب من جملة خلقه ، ولو سئل عما قبل السحاب ، لأخبر أن الله تعالى كان ولا شىء معه ، كما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كان الله سبحانه وتعالى ولا شىء معه » ولسنا نختلف أن الجبار تعالى لا يعلوه شىء من خلقه بحال ، وأنه لا يحل فى الأشياء بنفسه ولا يزول عنها ، لأنه لو حل بها كان منها ، ولو زال عنها لنأى عنها .

الحديث التاسع عشر : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينزل ربنا

---

(١٦) رواه الامام احمد فى مسنده ، وابن جرير فى تهذيب الآثار والطبرانى فى الكبير ، وأبو الشيخ فى العظمة « جمع الجوامع السيوطى » .

كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول : من يدعونى فأستجيب له » .

روى حديث النزول : عشرون صحابيا . وقد سبق القول : أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير ، فيبقى الناس [بين] رجلين :

أحدهما : المتأول ، بمعنى أنه يقرب برحمته، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » وان كان معدنه فى الأرض ، وقال تعالى : « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » ومن لم يعرف نزول الجمل ، كيف يتكلم فى الجمل ؟

والثانى : الساكت عن الكلام فى ذلك، مع اعتقاد التنزيه . والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة ، وأن النزول الذى هو انتقال من مكان الى مكان ، يفتقر الى ثلاثة أجسام : جسم عال هو مكان لساكنه ، وجسم سافل ، وجسم متنقل من علو الى سفل . وهذا لا يجوز على الله عز وجل .

قال ابن حامد : هو على العرش بذاته مماس له ، وينزل من مكانه الذى هو فيه ، وينتقل . هذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى .

وقال القاضى أبو يعلى : النزول صفة ذاتية ولانقول نزوله : انتقال . وهذا مغالط . ومنهم من قال يتحرك اذا نزل . وما يدرى أن الحركة لا تجوز على الله تعالى . وقد حكوا عن الامام أحمد ذلك . وهو كذب عليه(١٧) .

---

(١٧) حكى ذلك أبو يعلى فى طبقاته عن أحمد بطريق أبى العباس الأصطخرى وهو كما قال المصنف نقل مفترى . وعجيب من ابن تيمية كتبه فى معقوله ـ غير منكر ـ ما يرويه حرب بن اسماعيل الكرمانى صاحب محمد ابن كرام فى مسائله عن أحمد وغيره فى حقه سبحانه . . . يتكلم =

ولو كان النزول صفة ذاتية لذاته ، كانت صفته كل ليلة تتجدد[١٨] وصفاته قديمة كذاته .

الحديث العشرون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رجلا أتى النبى فقال : انى مجهود . فقال ﷺ : من يضيفه هذه الليلة ؟ » فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يارسول الله . فانطلق به الى امرأته . فقال : هل عندك شىء ؟ قالت : لا . الا قوت صبيانى . فقال : فعلليهم بشىء ، اذا أراد الصبية العشاء ، فنوميهم ، فاذا دخل ضيفنا فاطفئى السراج وأريه أنا نأكل . فقعدوا وأكل الضيف ، فلما أصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « لقد عجب الله تعالى من صنيعكما بضيفكما الليلة » .

وفى أفراد البخارى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « عجب الله من قوم جر بهم فى السلاسل حتى يدخلهم الجنة » .

قال العلماء : العجب انما يكون من شىء يدهم الانسان مما لا يعلمه، فيستعظمه . وهو لا يليق بالخالق جل جلاله — لكن معناه : عظم قدر

= ويتحرك . . هـ . ونقل أيضا عن نقض الدارمى — ساكتا أو مقرا — الحى القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك اذا شاء ويهبط ويرتفع اذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس اذا شاء لأن أمارة ما بين الحى والميت التحرك وكل حى متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة هـ « ز » .

(١٨) مما يقوله ابن حزم الظاهرى فى حديث النزول : هذا انما هو فعل يفعله الله تعالى فى سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مظان القبول والاجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين ، وهذا معهود فى اللغة تقول : نزل فلان عن حقه لى بمعنى وهبه لى وتطول به على ، ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله ﷺ علق التنزل المذكور بوقت محدود وصح أنه فعل محدث فى ذلك الوقت مفعول حينئذ وقد علمنا أن ما لم يزل فليس متعلقا بزمان البتة وقد بين رسول الله ﷺ فى بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلك الفعل وهو أنه ذكر عليه السلام أن الله يأمر ملكا فى ذلك الوقت بذلك ، وأيضا فان ثلث الليل مختلف فى البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى فى ذلك الوقت لأهل كل أفق وأما من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله فى ابطال القول بالجسم هـ « ز » .

ذلك الشيء عند الله ، لأن المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده ، ومعنى السلاسل : « أكرهوا على الطاعة التى بها يدخلون ، وقال ابن الانبارى : معنى عجب ربك : زادهم انعاما واحسانا . فعبر فى هذا الحديث بالعجب عن ذلك .

الحديث الحادى والعشرون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « لله أشد فرحا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته اذا وجدها » .

قلت : لما كان مسرورا بشيء ، راضيا . قيل له : فرح . والمراد : الرضى بتوبة التائب ولا يجوز أن يعتقد فى الله سبحانه وتعالى التأثر الذى يوجد فى المخلوقين ، فان صفات الحق تعالى قديمة لا تحدث له صفة .

الحديث الثانى والعشرون : روى مسلم فى أفراده من حديث أبى موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات . فقال : « ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه »[١٩] .

قوله « حجابه النور » ينبغى أن يعلم أن هذا الحجاب للخلق عنه ، لأنه لا يجوز أن يكون محجوبا ، لأن الحجاب يكون أكبر مما يستره ، وكما أنه لا يجوز أن يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء ، لا يصح أن يكون لذاته : وانما المراد : أن الخلق محجوبون عنه . كما قال تعالى : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » وأما السبحات فجمع سبحة . ويقال : ان السبحة جلال وجهه . ومنه قوله : سبحان الله وانما هو تعظيم له وتنزيه . وقال القاضى أبو يعلى : لا يمنع اطلاق حجاب من دون الله تعالى لا على وجه الحد والمحاذاة .

وهذا كلام مختلط يرضى به العوام .

---

(١٩) يقول النووى فى شرح صحيح مسلم : والتقدير : لو ازال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته (ز) .

الحديث الثالث والعشرون : روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: « ان أهل الجنة يرون ربهم تعالى فى كل جمعة فى رمال الكافور ، وأقربهم منه مجلسا أسرعهم اليه يوم الجمعة » .

قوله « فى رمال الكافور » : اشارة الى الحاضر . ثم فى رمال الكافور وأقربهم منه : أى أحظاهم عنده .

وفى حديث آخر : « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن » وقال بعضهم : يمين العرش ، وفى حديث سوق الجنة : « ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة » ويروى خاصره — بالخاء المعجمة — وهذا يرويه يوسف بن عبد الله . وهو خطأ . والمخاصرة : المصافحة . وقال القاضي أبو يعلى : لا يمتنع أن يكون الحق تعالى فى رمال الكافور . فقد أقر بالحصر ، ثم قال : لا على وجه الانتقال . وهذا تلاعب ، ثم قال : ولا يمتنع قربهم من الذات ، وهذا يضيع معه الحديث .

واستدل بقوله : « ما منكم من أحد الا سيخلو به ربه تعالى » وقال : الخلوة عبارة عن القرب ، ويجوز القرب من الذات ، وقد سبق رد هذا .

الحديث الرابع والعشرون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابن مسعود قال جاء حبر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يامحمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والجبال والشجر على اصبع . وفى لفظ : والماء والثرى على اصبع ، ثم يهزهن . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « وما قدروا الله حق قدره » .

قلت : وظاهر ضحك النبى ﷺ : الانكار[٢٠] واليهود مشبهة .

---

(٢٠) يستبعد ابن خزيمة — وهو ممن وقع فى خطأ التشبيه — أن يكون ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم انكارا ، وقد نقض الحافظ ابن حجر زعمه هذا فى الفتح (ز) .

ونزول الآية دليل عن انكار الرسول ﷺ عليهم . وفي معنى هذا الحديث قوله ﷺ : « ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » ولما كان القلب بين اصبعين ذليلا مقهورا ، دل هذا على أن القلوب مقهورة لمقلبها .

وقال القاضي أبو يعلى : غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في ، اثبات الأصابع ، صفات راجعة الى الذات . لأنا لا نثبت أصابع هي جارحة ولا أبعاض .

وهذا كلام مخبط ، لأنه اما أن يثبت جوارح ، واما أن يتأولها . وأما حملها على ظاهرها ، فظاهرها الجوارح ، ثم يقول : ليست أبعاضا . فهذا كلام قائم قاعد ، ويضيع الخطاب لمن يقول هذا .

الحديث الخامس والعشرون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك . أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟ »[٢١] هكذا رواه مسلم . وهي أتم الروايات ، وقد ثبت بالدليل القاطع أن يد الحق سبحانه وتعالى ليست جارحة وأن قبضته الأشياء ليست مباشرة ، ولا له كف ، وانما قربه رسول الله ﷺ الى الأفهام بما يدركه الحس ، وأما رواية الشمال فضعيفة بالمرة ، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (وكلتا يديه يمين مباركة)[٢٢] وهذا يوهن ذكر الشمال .

---

(٢١) في الذى بين أيدينا من نسخ صحيح مسلم زيادة (ثم يطوى الأرضين بشماله) (ز) .

(٢٢) يقول القتيبي عند الكلام على هذا الحديث : انما اراد بذلك معنى التمام والكمال لأن كل شيء فمياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام ، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما في اليمين من التمام ، وفي اليسار من النقص ، ويجوز أن يريد العطاء باليدين جميعا لأن اليمنى هي المعطية ، فاذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما والى هذا ذهب المرار حين قال :

وان على الاوانة من عقيل ... فتى كلتا اليدين له يمين « ز »

الحديث السادس والعشرون : رواه الامام أحمد رحمه الله فى مسنده من حديث أنس عن النبى ﷺ فى قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل » قال : قال هكذا ، يعنى أنه أخرج طرف الخنصر ، وفى لفظ « فأومأ بخنصره فساخ » وروى ابن حامد فى « فلما تجلى ربه للجبل » قال : خرج منه أول مفصل من خنصره .

هذا الحديث تكلم فيه علماء الحديث ، وقالوا : لم يروه عن ثابت غير حماد بن سلمة . وكان ابن العوجاء الزنديق ، قد أدخل على حماد أشياء ، فرواها فى آخر عمره ، ولذلك تجافى بعض أصحاب الصحيح الاخراج عنه ، ومخرج الحديث سهل ، وذلك أن النبى ﷺ كان يقربه الى الأفهام بذكر الحسبات ، فوضع يده على خنصره اشارة الى أن الله تعالى أظهر اليسير من آياته .

الحديث السابع والعشرون : روى القاضى أبو يعلى عن عكرمة أنه قال : « اذا أراد الله عز وجل أن يخوف عباده أبدى عن بعضه الى الأرض فعند ذلك تتزلزل ، واذا أراد الله أن يدمدم على قوم تجلى لهم » .

قال القاضى أبو يعلى : « أبدى عن بعضه » هو على ظاهره . وهو راجع الى الذات ، على وجه لا يفضى الى التبعيض . قلت : ومن يقول : أبدى عن بعض ذاته ، وما هو بعض : لا يكلم . وانما المراد : أبدى عن آياته .

الحديث الثامن والعشرون : روى أبو الأخمص الجمحى عن رسول الله ﷺ قال له : « لعلك تأخذ موساك فتقطع أذن بعضها . فتقول : هذه نحر ، وتشق أذن الأخرى وتقول : صرم ؟ » . قال : نعم . قال : « فلا تفعل . فان موسى الله تعالى أحد من موساك ، وساعد الله تعالى أشد من ساعدك » .

قال القاضى أبو يعلى : لا يمتنع حمـــل الخبر على ظاهره فى اثباته الساعد صفة لذاته •

قلت : المراد بالساعد القوة ، لأن قوة الانسان فى ساعده ، وكان ينبغى أن يثبت الموسى أيضا •

الحديث التاسع والعشرون : روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: « ان العبد اذا قام الى الصلاة فانه بين عينى الرحمن » •

قد ذكرنا صفة العين فى الآيات المذكورة قبـــل الأحاديث ، والمراد بالحديث : أن الله تعالى يشاهد المصلى ، فليتأدب • وكذلك قوله « فان الله تعالى قبل وجهه » أى يراه •

الحديث الثلاثون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال ﷺ : « من هذه ؟ » قالت : فلانة • تذكر من صلاتها•فقال ﷺ : « مه • عليكم ما تطيقون فوالله لا يمل الله تعالى حتى تملوا » وفى لفظ : « لا يسأم الله تعالى حتى تسأموا » •

قال العلماء : معنى الحديث : لا يمل الله تعالى وان مللتم كما قال الشاعر :

صليت منى هــذيل بخرق   لا يمـــل الشر حتى يملـــوا

المعنى : لا يمل وان ملوا والا لم يكن له فضل عليهم • وقال قوم : من مل من شيء ، تركه ، والمعنى : لا يترك الثواب ما لم يتركوا العمل ، وأما الملل الذى هو كراهة الشيء والاستثقال له ونفور النفس عنه والسآمة منه ، فمحال فى حقه تعالى ، لأنه يقتضى تغيره وحلول الحوادث فى حقه •

الحديث الحادى والثلاثون : روت خولة بنت حكيم عن النبى ﷺ أنه قال : « ان آخر وطأة وطئها الرحمن بوج » •

« وج » واد بالطائف • وهى آخر وقعة أوقعها الله تعالى بالمشركين على يد رسول الله ﷺ ومنه قوله ﷺ « اللهم اشدد وطأتك على مضر » مأخوذ من القدم • والى هذا ذهب ابن قتيبة وغيره. قال القاضي أبو يعلى: غير ممتنع على أصولنا حمل هـذا الخبر على ظاهره ، وان ذلك معنى بالذات دون الفعل ، لأنا حملنا قوله ينزل ويضـع قدمه فى النـار على الذات •

وهذا الرجل يشير بأصولهم الى ما يوجب التجسـيم والانتقـال والحركة • وهذا مع التشبيه بعيد عن اللغة ومعرفة التواريخ وأدلة المعقول، وانما اغتر بحديث روى عن كعب أنه قال : « وج مقدس ، منه عرج الرب الى السماء ثم قضى خلق الأرض » وهذا لو صـح عن كعب احتمل أن يكون حاكيا عن أهل الكتاب ، وكان يحكى عنهم كثيرا ولو قدرناه من قوله ، كان معناه : أن ذلك المكان آخر ما استوى من الأرض لما خلقت ، ثم عرج الرب ، أى عمد الى خلق السماء • وهو قوله تعالى : « استوى الى السماء وهى دخان » •

ويروى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « لما أسرى بى ، مر بى جبريل عليه الصلاة والسلام حتى أتى الصخرة • فقال : يامحمد من ههنا عرج ربك الى السماء » وهذا يرويه بكر بن زياد وكان يضع الحديث على الثقـات •

فان قيل : قال ابن عباس رضى الله عنهما : « استوى الى السماء »: صعد • قلنا : صعد أمره ، اذ لا يجوز عليه الانتقال والتغير •

واعلم : أن الناس فى أخبار الصفات ثلاث مراتب :

أحدها : امرارها على ما جاءت [من غير تفسير] ولا تأويل ، الا أن تقع ضرورة . كقوله تعالى : « وجاء ربك » أى جاء أمره • وهذا مذهب السـلف •

والمرتبة الثانية : التأويل . وهو مقام خطر[٢٣] .

(٢٣) يقول في شرح المشكاة : قال النووى فى شرح مسلم : فى هذا الحديث « حديث النزول » وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران : فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الايمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وان ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث . والثانى مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكي عن مالك والاوزاعى انما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها فعليه الخبر مؤول بتأويلين أى المذكورين . وبكلامه وبكلام الشيخ الربانى أبى اسحاق الشيرازى وامام الحرمين والغزالى وغيرهم من ائمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون فى السماء وغير ذلك عما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالاجماع فاضطر جميع الخلف والسلف الى صرف اللفظ عن ظاهره وانما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيل ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك وانما دعت الضرورة فى أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ومن ثمت اعتذر كثير منهم وقالوا : لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين فى زمنهم لم نخض فى تأويل شيء من ذلك وقد علمت أن مالكا والاوزعى وهما من كبار السلف أولا الحديث تأويلا تفصيليا وكذلك سفيان الثورى أول الاستواء على العرش بقصد أمره ونظيره (ثم استوى الى السماء) أى قصد اليها ومنهم الامام جعفر الصادق، بل قال جمع منهم ومن الخلف : ان معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقى وقال أنه قول لأبى حنيفة ومالك والشافعى والاشعرى والباقلانى ، وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو (وهو معكم أينما كنتم) (وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) الآية (فاينما تولوا فثم وجه الله) (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) و — قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن — و — الحجر الاسود يمين الله فى الأرض — وهذا الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المحققون أن الوقف على (الراسخون فى العلم) لا الجلالة . قلت الجمهور على أن الوقف على (الا الله) وعدوا وقفه وقفا لازما وهو الظاهر لان المراد بالتأويل معناه الذى أراده تعالى وهو فى الحقيقة لا يعلمه الا الله =

والمرتبة الثالثة : القول فيها بمقتضى الحس • وقد عم جهلة الناقلين

= جل جلاله ولا اله غيره وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له ولم يقدر أحد أن يقول ان هذا التأويل هو مراد الله جزما ففي التحقيق الخلاف لفظي ولهذا اختار كثيرون من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء من الاشياء التي تليق باللفظ ويكلون تعيين المراد بها الى علمه تعالى وهذا توسط بين المذهبين وتلذذ بين المشربين . واختار ابن دقيق العيد توسطا آخر فقال : ان كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه وان استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدمه مسألة فقهية اجتهادية والامر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين . قلت التوقف فيها لعدم ترجيح أحد الجانبين مع ان التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الامام الاعظم هـ . ويقول في شرح المشكاة أيضا : والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لاجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف اجمالي لتفويضهم الى الله تعالى وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم اليه لكثرة المبتدعين هـ (ز) .

وفي (اشارة النبيه في كشف شبه أهل التشبيه املاء الشيخ نجم الدين أبي الفتح نصر الله بن العز بن سعد الله بن نجم الكاتب البغدادي) : وقد تأول العلماء والأدباء والشعراء قديما وحديثا قول بعضهم :

أقول بالخد خال حين اذكره   خوف الرقيب وما بالخد من خال
أبكي الى الشرق ان كانت منازلهم   بجانب الغرب خوف القيل والقال

ومن قال لا أقول بالتأويل ولا أشبه فقد تأول لأنه اذا عدل عن معنى النزول عنده ومعنى اليمين في الحديث (الحجر الاسود يمين الله في الأرض) الى غير ذلك فقد تأول فلا محيص لكم عن التأويل بحال هـ .

ويقول العلامة الآلوسي في تفسيره عند الكلام على الوجه : والتأويل القريب الى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي ، على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف والله تعالى أعلم بمراده هـ . وقال أيضا : وأنا أميل الى التأويل وعدم القول بالظواهر مع نفي اللوازم في بعض ما ينسب الى الله مثل قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (الحجر الاسود يمين الله في أرضه فمن قبله أو صافحه فكأنما صافح الله تعالى وقبل يمينه) فأجعل الكلام فيه خارجا مخرج التشبيه لظهور القرينة ، ولا أقول : الحجر الاسود من صفاته كما قال السلف في اليمين هـ .

وقد عقد ابن المعلم في كتابه (نجم المهتدي ورجم المعتدي) بابا سرد فيه جماهير المؤولين (فيما يظهر فيه وجه الكلام) من الصحابة والتابعين وغيرهم (ز) .

اذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات التى يعرف بها ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل • فان علم المعقولات يصرف الظواهر المنقولات عن التشبيه فاذا عدموها تصرفوا فى النقل بمقتضى الحس • واليـه أشـار القاضى أبو يعلى بقوله : « لا يمتنع أن يحمل التى وطئها الحق تعالى على أصولنا ، وأنه معنى يتعلق بالذات » • وأصولهم على زعمه : ترجع الى الحس ، ولو فهموا أن الله تعالى لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا تغير ، ما بنـوا على الحسيات ، والعجب أنه يقر بهذا القول ثم يقول من غير نقلة ولاحركة فينقض ما بنى •

ومن أعجب ما رأيت لهم : ما ذكروا عن ابن أبى شـيبة أنه قال فى كتاب العرش : ان الله تعالى قد أخبرنا : أنه صار من الأرض الى السماء ، الى العرش فاستوى على العرش •

قلت : ونحن نحمـد الله اذ لم يبخس حظنـا من المنقولات ولا من المعقولات ، ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا ، فعابنا الناس بكلامهم •

الحديث الثانى والثلاثون : روى أبو أمامة عن النبى ﷺ أنه قال : « ما تقرب العباد الى الله تعالى بمثل ما خرج منه »[٢٤] وهـو القرآن • وفى حديث عفان أن النبى ﷺ قال : « فضيلة القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه • أن القرآن منه خرج واليه يعود » والمعنى وصل الينا من عنده ، واليه يعود فيرفع •

الحديث الثالث والثلاثون : روى أبو هريرة عن رسـول الله ﷺ أنه قال : « ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف سنة فلمـا سمعت الملائكة قالوا : طوبى لأمة ينزل عليهم ، وطوبى لأجواف تحمـل هذا ، وطوبى لألسن تتكلم به » •

---

(٢٤) الذى فى الجامع الكبير للسيوطى : (ما تقرب العباد الى الله بشىء أحب اليه مما خرج منه) ابن السنى عن زيد بن أرطاة عن أبى أمامة .

وهذا حديث موضوع يرويه ابراهيم بن المهاجر عن عمر بن حفص • وأما عمر بن حفص • فقال الامام أحمــد بن حنبل : حرقت أحاديثه • وقال يحيى بن معين : ليس بشيء • وقال أبو حاتم بن حبان الحافظ : هذا متن موضـــوع •

الحديث الرابع والثلاثون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم • أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك »(٢٥) وفى لفظ أخرجه البخارى أن النبى ﷺ قال : « ان الرحم شجنة من الرحمن » •

قال أبو عبيدة الشجنة : كالغصن من الشجرة • ومعنى شــجنة أى قرابة مشتبكة كاشتباك العروق والشجر ، تشجن اذا التف بعضها ببعض •

قلت : لا يخلو هذا الحديث من أحد أمرين ، اما أن يراد أن الله تعالى يراعى الرحم فيصل من يصلها ويقطع من قطعها ، ويأخذ لها حقها كما يراعى القريب قرابته ، كأنه يزيد فى المراعاة على الأجانب ، أو أن يراد أن الرحم حروف الرحمن ، فكأنه عظم قدرها بهذا الاسم • ويؤكد هــذا : حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبى ﷺ قال : « قال الله تعالى : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » •

وقد ورد هذا الحديث بلفظ لم يخرج فى الصحاح : « الرحم شجنة من الرحمن تعلق بحقوى الرحمن تقول : اللهم صل من وصلنى ، واقطع

---

(٢٥) فى شرح صحيح مسلم للامام النووى : قال القاضى عيــاض : الرحم التى توصل وتقطع وتبر انما هى معنى من المعانى ليست بجسم وانما هى قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضــه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما ، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى اســتعمال ذلك ، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم اثم قاطعيها بعقوقهم (ز) .

من قطعني » وفي لفظ : « الرحم شجنة آخذة بحقو الرحمن » وفي لفظ : « لما خلق الله تعالى الخلق قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة » وهـذه كلها أمثال ترجع الى ما بينا ، ومعنى تعلقها بحقو الرحمن : الاستجارة والاعتصام[٢٦] .

قال أبو بكر البيهقي : الحقو : الازار . والمعنى : تتعلق بعزه . قال ابن حامد : يجب التصديق بأن لله حقوا فتأخذ الرحم بحقوه ، قال : وكذلك نؤمن بأن لله تعالى جنبا . لقوله تعالى : « على ما فرطت في جنب الله » .

وهذا لا فهم له أصلا ، كيف يقع التفريط في جنب الذات ؟ نعوذ بالله من سوء الفهم .

الحديث الخامس والثلاثون : روى البخاري في صحيحه[٢٧] أن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : الكبرياء ردائي ، والعظمة ازاري . فمن نازعني فيهما عذبته » .

قال أبو سليمان الخطابي : وفي الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله تعالى اختص بهما لا يشركه فيهما أحد ، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما ، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل . وضرب الازار والرداء مثلا ، يقول والله تعالى أعلم : كما لا يشرك الانسان في ردائه وازاره أحد ، كذلك لا يشركه في الكبرياء والعظمة مخلوق .

---

(٢٦) قال في النهاية : والحقو فيه مجاز وتمثيل ومنه قولهم : عذت بحقو فلان اذا استجرت واعتصمت هـ . وفي أساس البلاغة : لاذ بحقويه اذا فزع اليه .

(٢٧) يقول العجلوني في كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : رواه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة والحاكم (بألفاظ متقاربة) ، وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعي عن أبي هريرة والحكيم الترمذي عن أنس هـ . ولم يذكر البخاري فليحرر .

الحديث السادس والثلاثون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة » .

فذهب القاضى أبو يعلى الى أن لله تعالى نفسا . هى صفة زائدة عن الذات . وهذا قول مبتدع ينوع به التشبيه ، لا يفرق بين الذات والنفس . وما المانع أن يكون المعنى : ذكرته أنا ؟ وقد سبق هذا فى الكلام على الآيات . والتقريب والهرولة توسع فى الكلام(٢٨) كقوله تعالى : « والذين سعوا فى آياتنا » لا يراد به المشى .

الحديث السابع والثلاثون : روى أبو سعيد عن النبى ﷺ أنه قال : « ان الله تعالى جميل يحب الجمال »(٢٩) .

قال العلماء : الجميل : المجمل بتحسين الصور والأخلاق والاحسان ، والذى أراه : أن الجميل الذى أوصافه تامة مستحسنة . وقد فسر القاضى أبو يعلى بما لا يليق بالحق سبحانه وتعالى فقال : غير ممتنع وصفه بالجمال ، فان ذلك راجع الى الذات ، لأن الجمال فى معنى الحسن . قال : وقد تقدم قوله ﷺ : « رأيت ربى فى أحسن صورة » .

الحديث الثامن والثلاثون : روى القاضى أبو يعلى عن عمر بن عبد العزيز قال : « اذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل يمشى فى

---

(٢٨) فى تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة عند الكلام على التقرب والهرولة : ونحن نقول : ان هذا تمثيل وتشبيه وانما أراد : من أتانى مسرعا بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من اتيانه .

(٢٩) أثبت العجلونى فى كشف الخفا ومزيل الالباس هذا الحديث وقال : رواه احمد عن ابى ريحانة ، ومسلم والترمذى عن ابن مسعود ، وأبو يعلى والبيهقى عن ابى سعيد ، والطبرانى عن ابى أمامة وابن عمر وجابر ، وابن عدى فى الكامل عن ابن عمر .

ظلل من الغمام والملائكة ، فيقف على أول درجة فيسلم عليهم ، فيردون عليه السلام فيقول : سلونى . فيقولون : ماذا نسأل ؟ وعزتك وجلالك وارتفاعك فى علو مكانك . لو أنك قسمت علينا رزق الثقلين ، لأطعمناهم وسقيناهم ولم ينقص ما عندنا . فيقول تعالى : بلى سلونى . فيقولون : نسألك رضاك . قال تعالى : رضائى أحلكم دار كرامتى . فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهى الى مجلسه » .

هذا حديث مكذوب به على عمر .

وبعد . فكيف يثبت لله تعالى صفة بقول عمر ! . قال القاضى أبو يعلى : يشهد لحديث عمر : قوله تعالى : « يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » ولم يدر أن المعنى : يأتيهم الله بظلل من الغمام .

الحديث التاسع والثلاثون : روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود . قال ﷺ : « وعدنى ربى عز وجل بالقعود على العرش » .

هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ . قال ابن حامد : يجب الايمان بما ورد به من المماسة والقرب من الحق تعالى لنبيه ﷺ فى اقعاده على العرش . قال وقال ابن عمر فى « وان له عندنا لزلفى » قال : ذكر الدنو منه حتى يمس بعضه . وهذا كذب على ابن عمر ، ومن ذكر تبعيض الذات كفر بالاجماع .

الحديث الأربعون : روى الدارقطنى من حديث أبى اسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضى الله تعالى عنه أن امرأة جاءت الى رسول الله ﷺ فقالت : ادع الله تعالى أن يدخلنى الجنة . فعظم الرب عز وجل فقال ﷺ : « ان كرسيه وسع السموات والأرض ، وان له أطيطا كأطيط الرحل الجديد اذا ركب من ثقله » .

هذا حديث مختلف جدا . وقد رواه أبو اسحق عن ابن خليفة عن

ابن عمر قال : « اذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل » روى ابن جرير أن عبد الله بن خليفة قال : قال رسول الله ﷺ : « ان كرسيه وسع السموات والأرض ، وأنه ليقعد عليه ، فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال باصبعه فجمعها ، وان له لأطيطا كأطيط الرحل اذا ركب من ثقله . هذا على ضد اللفظ الأول . وكل ذلك من تخليط الرواة وسوء الحفظ . والأليق فما يفضل منه مقدار أربع أصابع .

والمعنى : أنه قد ملأه بهيبته وعظمته ، ويكون هذا ضرب مثل لقدر عظمة الخالق جل جلاله . وقول الرواة : « اذا قعد » و « اذا جلس » من تغييرهم ومن تعبيرهم يظنونه ، كما قال القائل : « ثم استوى على العرش » : قعد . وانما قلنا هذا لأن الخالق تعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس ، فيفضل ذلك الشيء ، لأن هذه صفة الأجسام .

الحديث الحادي والأربعون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك . فينادي بصوت : ان الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار » .

انفرد بلفظ الصوت حفص بن غياث ، وخالفه وكيع وجرير وغيرهما فلم يذكروا الصوت . وسئل الامام أحمد عن حفص قال : كان يخلط في حديثه . وفي الحديث الصحيح : « اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا » وفي حديث ابن مسعود : « اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا » وليس في الصحيح : « سمع صوته أهل السماء » .

الحديث الثاني والأربعون : روى جابر عن النبي ﷺ أنه لما كلم الله موسى يوم الطور ، كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه . فقال له : يا موسى اني كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ، ولي قوة الألسنة كلها . وأنا أقوى من ذلك . فلما رجع الى بني اسرائيل ، قالوا : صف لنا كلام

الرحمن . قال لا أستطيع ، قالوا قربه لنا . قال : ألم تروا صوت الصواعق التي تقبل بأحلى كلام تسمعونه ؟

هذا حديث لا يصح ، يرويه علي بن عاصم : عن الفضل بن عيسى ، قال النسائي : علي بن عاصم : متروك الحديث ، وقال يزيد بن هرون : مازلنا نعرفه بالكذب .

الحديث الثالث والأربعون : روى القاضي أبو يعلى عن حسان ابن عطية أنه قال : « الساجد يسجد على قدم الرحمن » .

هذا قول تابعي . وهو مثل للقرب من فضل الله تعالى . وأثبت القاضي أبو يعلى بهذا : وصف قدم ، وأنه يسجد على قدمه حقيقة ، لا على وجه المماسة .

الحديث الرابع والأربعون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : « جنتان من فضة . آنيتهما وما فيهما . وليس بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » .

الرائي في جنة عدن لا المرئي . لأنه لا تحيط به الأمكنة . وقال القاضي أبو يعلى : ظاهر الحديث أن المرئي في جنة عدن . وهذا التجسيم المحض . ورداء الكبرياء ماله من الكبرياء والعظمة ، وكأنه ان منعهم فلعظمته ، وان شاء كشف لهم . وقد تكلمنا على الوجه في الآيات ، وقلنا : المراد هو .

الحديث الخامس والأربعون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتابه فهو عنده[٣٠] فوق العرش : ان رحمتي غلبت غضبي » وفي لفظ « سبقت » .

---

(٣٠) يقول العلامة العيني في شرح صحيح البخاري : والعندية ليست مكانية بل هو اشارة الى كمال كونه مكنونا عن الخلق مرفوعا عن حيز ادراكهم (ز) .

قال القاضى أبو يعلى : ظاهر قوله « عنده » القرب من الذات .
واعلم : أن القرب من الحق تعالى لا يكون بمسافة ، إنما ذلك من صفة الأجسام ، وقد قال تعالى « مسومة عند ربك » .

الحديث السادس والأربعون : روى عن بعض التابعين أنه قال : « خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده » .

هذا لا يثبت عن قائله ، وقد تكلمنا على قوله تعالى : « لما خلقت بيدي » .

الحديث السابع والأربعون : روى ابن عباس عن النبى ﷺ فى قوله تعالى : « وسع كرسيه السموات والأرض » أنه قال : كرسيه موضع قدمه والعرش لا يقدر قدره .

رواه جماعة من الاثبات ، فوقفوه على ابن عباس ، ورفعه منهم شجاع ابن مخلد[٣١] فعلم بمخالفته الكبار المتقنين : أنه قد غلط . ومعنى الحديث : أن الكرسى صغير بالاضافة الى العرش ، كمقدار كرسى يكون عند سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير ، قال الضحاك : الكرسى : الذي تجعل عليه الملوك أقدامهم ، وقال القاضى أبو يعلى : القدم قدم الذات . وهى التي يضعها فى النار .

الحديث الثامن والأربعون : حديث العباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض . والله تعالى فوق ذلك » .

هذا الحديث لا يصح . تفرد به يحيى بن العلاء ، قال الامام أحمد : هو كذاب يضع الحديث . وقد تكلمنا فى الفوق فى قوله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده » قال القاضي أبو يعلى : المراد من الفوقية : استواء الذات على العرش ، وهذا الكلام أصله التجسيم .

---

(٣١) يقول الحافظ ابن حجر فى (تقريب التهذيب) : شجاع بن مخلد الفلاس أبو الفضل البغوى نزيل بغداد صدوق وهم فى حديث واحد رفعه وهو موقوف فذكره بسببه العقيلى فى الضعفاء (ز) .

الحديث التاسع والأربعون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله الا الطيب — فان الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل » وفى لفظ أخرجه مسلم : « فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل » .

قال العلماء : هذا خطاب للناس بما يعلمونه ويفهمونه من الأخذ والتربية والنمو . ولما كان التناول باليد والقبض بالكف ، خاطبهم بما يعقلون ، وانما جرى ذكر اليمين ، لأنها مرضدة لما عز من الأمور ، ومعنى التربية : المضاعفة .

الحديث الخمسون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه ذكر الدجال فقال : « ألا انه أعور وان ربكم ليس بأعور »[٣٢] .

---

(٣٢) لفظ الحديث فى صحيح البخارى (ان الله ليس بأعور وأشار بيده الى عينه ، وان المسيح الدجال أعور عين اليمنى) وقد قال الحافظ ابن حجر ان الاشارة الى عينه ﷺ انما هى بالنسبة الى عين الدجال فانها كانت صحيحة مثل هذه ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه فى دعوى الالهية وهو أنه كان صحيح العين مثل هذه فطرأ عليها النقص ولم يستطع دفع ذلك عن نفسه هـ .

وقال الفخر الرازى فى (أساس التقديس) عند الكلام على هذا الحديث : وأما هذا الخبر فمشكل لأن ظاهره يقتضى أن النبى ﷺ أظهر الفرق بين الاله تعالى وبين الدجال يكون الدجال أعور وكون الله تعالى ليس بأعور وذلك بعيد ، وخبر الواحد اذا بلغ هذه الدرجة فى ضعف المعنى وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبوقا بمقدمة لو ذكرت لزال هذا الاشكال أليس راوى هذا الحديث هو ابن عمر ثم أن المشهور أن ابن عمر لما روى حديث (ان الميت ليعذب ببكاء أهله) طعنت عائشة رضى الله عنها فيه وذكرت أن هذا الكلام من الرسول كان مسبوقا بكلام آخر واحتجت على ذلك بقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لو حكى لزال هذا الاشكال ، فكذا هاهنا انه من البعيد صدور مثل هذا الكلام من الرسول هـ (ز) .

قال العلماء : انما أراد تحقيق وصفه بأنه لا يجوز عليه النقص ، ولم يرد اثبات جارحة لأنه لا مدح فى اثبات جارحة ، بل كأنه قال : ألا ان ربكم ليس بذى جوارح يتسلط عليها النقائص . وهذا مثل نفى الولد عنه ، لأنه يستحيل عليه التجزؤ ، ولو كانت الاشارة الى صورة كاملة ، لم يكن فى ذلك دليل على الالهية ولا القدم ، فان الكامل فى الصورة كثير .

الحديث الحادى والخمسون : روى البخارى فى أفراده من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ ان الله تعالى قال : « ما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها . وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » .

قوله : « كنت سمعه وبصره » مثل . وله أربعة أوجه :

أحدها : كنت كسمعه وبصره ، فهو يحب طاعتى كما يحب هذه الجوارح .

الثانى : ان كليته مشغولة بى ، فلا يصغى الى غير ما يرضينى ولا يبصر الا عن أمرى .

الثالث : أنى أحصل له مقاصده كما ينالها بسمعه وبصره ويده اللواتى تعينه ، وأما التردد فخطاب لنا بما نعقل .

الحديث الثانى والخمسون : روى جبير بن مطعم قال : أتى رسول الله ﷺ أعرابى . فقال : يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال وتهتكت الأموال وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا ، فاستشفع بالله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « ويحك تدرى ما تقول » ؟ وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه . ثم قال ﷺ : « انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك . ويحك أتدرى

ما الله ؟ ان عرشه على سمواته هكذا » وقال باصابعه مثل القبة . وانه ليئط به أطيط الرحل بالراكب .

ومعنى قوله « أتدرى ما الله ؟ » أى أتدرى ما عظمة الله تعالى وجلاله ومعنى يئط به : أى يعجز عن عظمته وجلاله . اذ كان معلوما : أن أطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه ، وعجزه عن احتماله . فقرب بهذا النوع من عنده معنى عظمة الله وجلاله ، ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن لا يجعل شفيعا الى من هو دونه فى القدر ، وقد ذكرنا فيما تقدم عن القاضى أبى يعلى : يئط من ثقل الذات . وهذا صريح التجسيم .

الحديث الثالث والخمسون : روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ « انه كان سميعا بصيرا » فوضع اصبع الدعاء وابهامه على عينيه وأذنه .

قال العلماء : أراد بهذا تحقيق السمع والبصر منه . **فأشار الى** الجارحتين اللتين هما السمع والبصر ، لا أن لله سبحانه وتعالى جارحة .

الحديث الرابع والخمسون : روى أبو الدرداء عن النبى ﷺ أنه قال : ان الله عز وجل ينزل فى ثلاث ساعات ، بقين من الليل ، فيفتح الذكر فى الساعة الأولى فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن وهى داره التى لم يسكنها غيره وهى مسكنه ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك ، ثم ينزل فى الثالثة الى سماء الدنيا بروحه وملائكته ، فيقول : بعزتى » .

هذا الحديث يرويه زيادة بن محمد الأنصارى . قال البخارى : وهو منكر الحديث . وقال أبو حاتم بن حبان : يروى المناكير عن المشاهير ، فاستحق الترك ، ونقول على تقدير الصحة : انها مضافة اليه كما أضيف البيت اليه ، فهذا بيته وذاك مسكنه ، وانما قلت هذا ، لأن السكنى مستحيلة فى حقه — سبحانه وتعالى — .

الحديث الخامس والخمسون : روى أبو أمامة عن النبى ﷺ أنه قال : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثياته عز وجل » .

الحثية : ملء الكف ، والمراد : التقريب بما نعقل لا حقيقة الحثية .

الحديث السادس والخمسون : روى أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ان الله يجلس يوم القيامة على القنطرة بين الجنة والنار » .

يرويه عثمان بن أبى عاتكة . وعن يحيى : ليس بشىء .

الحديث السابع والخمسون : روى القاضى أبو يعلى عن محمد بن كعب قال : « كان الناس اذا سمعوا القرآن من فى الرحمن لم يسمعوه قط » .

قال القاضى أبو يعلى : ولا يمتنع أن يطلق الفم عليه .

قلت : واعجبا يعنى فى الرحمن : فمه . فيثبت لله تعالى صفة بقول تابعى لا تصح الرواية عنه ، هذا من أقبح الأشياء . فأما الحديث الذى قد سبق عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما تقرب العباد الى بمثل ما خرج منى » فالمعنى : ظهر عنه . ولا يجوز أن يظن أنه كخروج جسم من جسم .

الحديث الثامن والخمسون : روينا عن سهل بن سعيد عن رسول الله ﷺ : « دون الله تعالى ستون ألف حجاب من نور وظلمة ، وما من نفس تسمع شيئا من حسن تلك الحجب الا زهقت » .

هذا حديث لا أصل له .

الحديث التاسع والخمسون : رواه أنس أن النبى ﷺ قال : « ان لله تعالى لوحا أحد وجهيه درة ، والآخر ياقوتة ، قلمه النور ، فبه يخلق وبه

يرزق وبه يحيى وبه يميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء فى يوم وليلة » .

هـذا حديث موضـوع ، يرويه محمـد بن عثمان ، وهو متروك الحديث .

الحديث الستون : روى جابر عن النبى ﷺ أنه قال : « اذا رأيتم الريح فلا تسبوها ، فانها من نفس الرحمن ، تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب . فاسألوا الله خيرها ، واستعيذوا بالله من شرها » .

النفس بمعنى التنفيس عن المكروب[٣٣] ومثله : ما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « انى لأجـد نفس ربكم من جهـة اليمن » يعنى : تنفيسه عن الكرب بنصرة أهل المدينة اياى ، والمدينـة من جانب اليمن . وهذا شىء لا يختلف فيه المسلمون .

وقال ابن حامد : رأيت بعض أصحابنا يثبتون لله تعـالى وصفا فى ذاته بأنه يتنفس . قال : وقالوا : الرياح الهابة مثل العـاصف ، والعقيم والجنوب والشمال والصبا والدبور مخلوقة ، الا ريحا من صفاته ، هى ذات نسيم خيالى . وهى من نفس الرحمن .

قلت : على من يعتقد هـذا اللعنة . لأنه يثبت جسـدا مخلوقا ، ما هؤلاء بمسلمين .

قلت : ولمـا علم بكتابى هذا جماعة من الجهال ، لم يعجبهم ، لأنهم ألفوا كلام رؤسائهم المجسمة . فقالوا : ليس هذا المذهب . قلت : ليس مذهبكم ولا مذهب من قلدتم من أشياخكم ، فقد نزهت مذهب الامام

---

(٣٣) يقول الزمخشرى فى أسـاس البلاغة : ومالى نفس أى فرج . وقال ابن قتيبة : وقد فرج الله عن نبيه ﷺ بالريح يوم الاحزاب ، قال تعالى « فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها » .

أحمد ، ونفيت عنه كذب المنقولات ، وهذيان المقولات ، غـير مقلد في ما اعتقده . وكيف أترك بهرجا وأنا أنقده ؟ وقلت :

سبقت بحمـد الله من كان قبلي	فقل للذي يرجو لحاقي : على مهل
وانكم ولو تنقصـون عتـابكم	لعز على التفتيش أن تجـدوا مثلي

ثم قصيدة مطولة . وهي :

حمدت الهي كيف لا . وله الفضل	كما قد تولاني . فذلت لي السبل
وأخرجني من بين أهلي مفهمـا	وعلمني علمـا . به قيمتي تغـلو
وحركني للمكرمات أحـوزها	فهمـة نفسي دائمـا أبـدا تعلو
وألهمني بالعـلم حتى ملكتـه	فصار مرير الصبر عنـد فمي يحلو
وقـد زاد عشقي للعلوم فأصبحت	كتمثال ليلى عند قيس . فما يسلو
فمـا من علوم بثها الله في الورى	الى خلقه . الا ولي معها وصـل
وصنفت ما قد صنف للناس جنسه	فياقاصدي الانصاف لي ميزوا وابلوا
ولي من بديهات الكلام عجـائب	تكـرر عليهم كلمـا طولت تحلو
وقد قادني علمي الى الزهد في الدنا	وما جمعا . الا لعبد له فضـل
نعـم وتقـاة الله أشرف خـلة	ولا خير في قول اذا ضيع الفعل
قنوعي بمـا يكفي يقيني من الأذى	وبعـد يقيني بالمقـادير لا ذل
وأحسن من عـلم ترامي بأهـله	الى مين مخلوق يمـاثله الجهـل
وأسـكن قلبي حب كـل محقق	عشقت كما قد تعشق الأعين النجل
وبغـداد دار ليس يغبن أهلهـا	وما حبهم الا لمن ماله شـكل
وكـل البلاد أشحنتهـا فضـائلي	أقر بفضلي الدين والحزن والسهل
وذكري وراء النهر بالفضل وافـر	وفي المغرب الأقصى، وما بلغت ابل

ولما نظرت فى المذاهب كلها ... طلبت الأسد فى الصواب وما أغلو

فألفيت عند السبر قول «ابن حنبل» ... يزيد على كل المذاهب بل يعلو

وكل الذى قد قاله فمشيد ... بنقل صحيح والحديث هو الأصل

وكان بنقل العلم أعرف من روى ... يقوم بأنباء ، وان شانه عضل

ومذهبه أن لا يشبه ربه ... ويتبع فى التسليم من قد مضى قبل

فقام له الحساد من كل جانب ... فقام على رجل الثبات • وهم زلوا!

وكان له أتباع صدق تتابعوا ... فكم أرشدوا نحو الهدى،ولكم دلوا

وجاءك قوم يدعون تمذهبا ... بمذهبه . ما كل فرع له أصل

فلا فى الفروع يثبتون لنصره ... وعندهم عن فهم ما قاله شغل

اذا ناظروا قاموا مقام « مقاتل » ... فواعجبا والقوم كلهم عزل

قياسهم طردا • اذا صدروا به ... وهم من علوم النقل أجمعها عطل

اذا لم يكن فى النقل صاحب فطنة ... تشابهت الحيات ، وانقطع الحبل

ومالوا الى التشبيه أخذا بصورة الـ ... ذى نقلوه فى الصفات• وهم غفل

وقالوا : الذى قلناه مذهب أحمد ... فمال الى تصديقهم من به جهل

وصار الأعادى قائلين لكلنا : ... مشبهة • قد ضرنا الصحب والخل

فقد فضحوا ذاك الامام بجهلهم ... ومذهبه التنزيه ، لكن هم اختلوا

لعمرى لقد أدركت منهم مشايخا ... وأكثر من أدركته ما له عقل

وما زلت أجلو عنهم كل خلة ... من الاعتقاد الرذل كى يجمع الشمل

تسموا بألقاب ولا علم عندهم ... فوائدهم لا خرم فيها ولا حل

موائدهم لا يلحق الخل بقلها ... وان شئت لا خل عليها ولا بقل

وأكثر حساد لنا أهل مذهبى ... فلو قدروا أفتوا بأن دمى حل

تمنوا بجهــل أن تزل بى النعــل ولم تمش فى مجد بمثلى لهم رجل
ومنذ مضى شيخ الجمــاعة أحمد الى الآن • لم يوجد لعالمكم مثل
لقد بات عندى ألف ألف يقوموا سحابة وعظى • كلهم صيب وبـل
وروضات علمى كلها تمرح الجنى وبســتانهم اذ ما تأملتــه أثـل
وكيف ترى تبرى الحسود وداؤه اذا سئل الطب الخبير به يسـلو
تفــرد بالبغض القبيــح مخــالف أليس اجتماع الناس لى شاهد عدل؟

تم كتاب « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » للامام ابن الجوزى •

ولله الحمــد •

جاء فى آخر مجلس نفى التشبيه من أمالى الحافظ أبى القاسـم على بن الحسن بن هبة الله بن عســاكر الشافعى : أنشــدنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن منصور المؤمل لنفسه :

الله أكبر • أن يكــون لذاتــــه كيفيـــة كــذوات مخلوقاتــه
أو أن تقاس صفاتنا فى كــل ما نبـــديه من أفعالنـــا بصفاتــه
تبـــا لذى سـفه يقـول بأنــه جسـم • وان سـماتنا كسـماته
لبـديع صنعته عليــه شــواهد تبـدو على صـفحات مصنوعاته
ذرأ الأنــام بقــــدرة أزليـــة وارادة فيهـم لتقـــــديراته
ورأى بعـين العـلم ما تأتى بــه لحـــات أعينهم ، ومــا لم تأته

* * *

الفهرس